



مسامرة

بفأخرة الشتاء

للمراحي لطف الخير ابي بكر بن محمد عارف
خوفاير المكي الكتبي عفا الله عنه

وبلها

سلوة الحريف بمناظرة الربيع والحريف
لفريد الزمان الشيخ الأجل قوام الادب
ابي عثمان عمرو بن بجر الجاحظ
رحمه الله

طبع في بيروت سنة ١٣٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي ضرب للناس الامثال . وارشد لذكره في كل حال
 في الشتاء والصيف . سبحانه من اله تفرّد بصفات الكمال . وتجلّى بنعوت
 الجلال والجلال . من غير تشبيه وكيف . والصلاة والسلام على الداعي
 اليه بالحال والقال . بالحكمة والموعظة الحسنة وحسن الجدل . والكتلب
 والسيف . المنقذ من النار والضلال . المرشد لمكارم الحصال . واكرام
 الضيف . وعلى آله السادة الابطال . المعروفين بالمعروف والنوال .
 العادلين عن الحيف . واصحابه الذين بذلوا في سبيله النفس والمال .
 والتابعين لهم في احسن متوال . المميزين للزيف . ما دام طيف الخيال
 بمخال . في ميدان الفكر وعالم المثال . وحذا من طيف . « اما بعد »
 فقد جرت عادة الفضلاء في كل زمان . ومضت سنة النبلاء في كل
 مكان . بتحرير المقالات الادبية . وتحرير المقالات العلمية . والمساجلات
 اللطيفة . في القوالب الظرفية . مع الاستشهاد بالاعتبار الرائقة .
 وايراد الامثال الفائقة . والحكم الغريبة . والنوادر العجيبة . فيجتمع
 من ذلك حكايات مطربة . وقصص مرقصة معجبة . وقد يجرون ذلك
 على لسان الجمادات والحيوانات . حتى على لسان العقلاء السادات .
 تمثيلاً باحوال مفروضة ومتخيلة . ومنضمة لنصائح ومواعظ جزلة . وليس ذلك
 من الكذب بحال . ولا يذم ولا يعاب . فقد ضرب الله الامثال .
 وقال في قصة داود عليه السلام . خصمان بغى بعضنا على بعض . الى
 قوله وعزني في الخطاب . بل لا يخفى ان ذلك الاسلوب . محبوب

ومرغوب . وله وقع في القلوب . ينفس عنها الكروب . وتشتاق اليه
 النفوس وترغب . وتنشط لساعه وتطرب . ويحصل به التمرين للمتدي
 والتدريب . على الانشاء والتأديب والتهديب . فمن اجل ذلك اردت
 ان أجرب نفسي . واجرأ ابناء جنسي . على الدخول في هاتيك المسالك
 فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم * انت التشبه بالكرام فلاح
 فعملت هذه المقامة اللطيفة . والمقالة الظرفية * وسميتها * مسامرة
 الضيف . بمفاخرة الشتا والصيف * واجياً ان يفتح الله لنا الابواب .
 وان يهدينا الى الصواب . وهذا اوان الشروع في المقال . في واقعة الحال
 بينا انا ذات ليلة في أرق * وضجر شديد وقلق . مما اقاسيه من حر
 السنبلة . واتجرعه من حرارتها المقتله . اذ تذكرت فضل البرد . وعيشه
 الحنيء وعرفه الورد . وتغلبت في كفت فيه مشمولاً بشملة او يرد
 وقلت مادحاً له

نعم الشتاء وجدا * زمن الهنا والراحة
 طاب العناق به اذا * دار الحبيب براحتي
 وبيننا انا في تلك الحال . وصرت بين اليقظة والنوم الحال . اذ
 جاءني طيف خيال . في صورة اسد مقاتل . وقال اني انا الحر . والقيظ
 والصيف الفعال . والضيف الحر في الفعال . وانتم الى امام فعال .
 اخرج منكم الى امام قوأل . لا تثبتون على حال ولا تعرفون قدر الرجال
 والله در من قال . واحسن في المقال

ينتهي المرء في الصيف الشتا * فاذا جاء الشتا انكروه
 ليس يرضى المرء حالاً واحداً * قتل الانسان ما اكفروه
 تفجرون من جبرتي . وتصيحون من حرارتي . وانتم تجدون اللذة
 العريقة . اذا قابلتهموني بالماء والسياب الرقيقة . ورفيتم لاجلي المواضع الرفيعة

وتفسيحت في الرياض البديعة . ولكن ستذكرون ما اقول لكم . وتعلمون
رفقي بكم . وعدم تكليفي لكم . اذا جاءكم البرد . ولظاكم بناره . ومحققكم
مبرده بالبرد . وجاءكم بجنوده وصعق عليكم بالصواعق والرعد . وكلفكم
ما لا طاقة لكم به من كثرة الطعام . والفرش والاباس العظام .
واذكروا قول شاعركم الهام

توق من الشتاء ولا تخاطر * بنفسك قاتلا اني جليد
فرضنا ان جسمك من حديد * فهل يقوى على البرد الحديد
واذكروا اذا قام احدكم الى شربة ماء . فلا يكاد يسيغه ولا يتجرعه
من الاناء . كما تمثل قائلكم
لو اختصرتم من الاحسان زركم * والعذب يهجر الافراط في الخصر
ألم تمثل بها الفخر . يا ابا بكر

جاء الشتاء يبرده * سحق الوجوه يبرده
حبس الانام بكه * اثقله من برده
لظا من ناره * ادماهم بفرنده
ابدى الزكام بأنفهم * اعشى العيون بمرده
جلب الغموم بغيمه * رعب القلوب برده

فرا تم كلامه . وقضى مراده . الا وقد حضر طيف خيال ثاني .
فقال اعوذ برب المثاني . من كل ظالم وشاني . ومن حسود لا يقدر
شاني . وجاهل لا يعرف مكانتي ولا مكاني . ثم انتد قائله
واذا ما خلا الجبان بأرض * حاول الطعن وحده والنزال
ثم تنفس وتمتل في الحال وحاله قد حال

وقال السها للشمس انت خفية * وقال الدجى يا صبح انك حائل
وطاولت الارض السوء سفاهة * وفاخرت الشهب الحصى والجنادل

فيا موت زر انت الحياة مريرة * وباتفس جدّي ان دموك هازل
 ثم قال افي انا الشتا والقر والبرد . تعاسني لا تحصى ولا تعد .
 اذا جاءت ايامي . انتصبت اعلامي . واضرمت ناري . ورأيت الضيوف
 حولها في ليالي ونهاري . في البيوت والصحاري . ورأيت الناس يهنون
 بعضهم . في خروج عدوهم . ووصولي اليهم . فهذا يتمثل . وهذا ينشد
 ويترسل . جاء الشتاء وادبر الحر . هنيء الطعام وساعت الخمر . فرحت
 القلوب بوصولي . وامتلات بشرا . وشرع الكرام يخرجون مدخرا .
 ويعطفون علي الفقرا . حتي قال قائلهم شعرا . ويجمع كافاتي مقتخرا .
 وناهيك بذلك فخرا

جاء الشتاء وعندي من حوائجه * سبع اذا القطر عن اوطارنا حبسا
 كن * وكيس وكانون وكاس طلا * مع الكباب (وكف) ناعم وكسا
 وقال بعض الدهاقين آكل فيه ما جمعت . واستمتع بما ادخرت
 واي شيء احسن من كانوفي في كانون . ومن لبس الخبز والسمور .
 والقعود في الطوارم مع الاحباب . وتناول الدراج والكتاب . وقال
 بعض الكتاب

ليت الشتاء يعود لي بنعيمه * ان الشتاء غنية الكتاب
 قصر النهار وطول ليل تمتع * فيه نلذ بقبينه وشراب
 وكان للمتوكل بيت مال يسميه بيت مال الشمال . فكما هبت الريح
 شمالا . تصدق بالف درهم . وقد اشتهر افي على قدر الجسم والمال مقسم
 فالفقير يرزقه الله . ويسخر له اهل الكرم . وربما اعتاد جسمه العري فلا
 يهتم . فقد سئل عريان عما يجده في يوم قسر . فقال ما عليّ منه كبير
 مؤنة . قيل له كيف . قال دام لي العري فاعتاد بدني . ما تعتاده
 وجوهكم . وقيل لآخر ما اصبرك على البرد . قال كيف لا يصبر

عليه . من طعامه الريح . وسراج الشمس . وسقف السماء . ورأسه
 الاصمعي رجلاً يختال في اذير في يوم قرّ فقال من انت يا مقرور . فقال
 ابن الوحيد . امشي الخيزلي . اي مثاقلا . ويدفني حسي
 فلما سمع كلامه الصيف . تلهب من الحر . وقام وقعد ثم حمل
 وكر . واثار يقول . ويجول ويصول

في زخرف القول تزيين لباطله * والحق قد يعتريه سوء تعبير
 نقول هذا مجاج النخل تمدحه * وان ذمت نعل في الزنابير
 مدح وذم وذات الشيء واحدة * ان البيان يرسمه العلماء كالنور
 يا للعجب كم قتل هذا الرجل وسلب . كم فتك في عباد الله الاصفياء
 وافقر الاغنياء . وبضدها تميز الاشياء . هذا عدو الناس . ونذير الهلاك
 والباس . كم فيه مغرم . وكثرة انفاق الدرهم . في الطعام الذي يصير
 فيه الشره . والمالبس التي تدفع دهره . وتعبي القوي حملاً . فكأنما يحمل
 ثقلاً . قترى المزبل . كالسمين الثقيل . وقد قال الجاحظ الشتاء عند
 الناس . هو الكلب الكلب . والعدو الحاضر . يتأهب له . كما يتأهب
 للجيش ويستعد له . كما يستعد للحرق والفرق . ولو استقصيت معائبك
 ضاق الورق . وسل الجرائد عمن يهلك بك في كل عام . في اوربا مع
 التمدن والفنا والانتظام اما بلغك ان امرأة هناك قتلت نفسها جزءاً
 من دخولك . وخوفاً من ان يكون موتها بوصولك . اما رايتهم يتعلقون
 في حبال . على مستوقد النار . في الليل والنهار . لا يذوقون المنام .
 حتي يأتيهم الحمام . والاغنياء يهرون . وعن بلادهم يبعدون . ولا
 تدلس بقولك . يخرج الكرام مدخرا الخ . نعم يخرجون امداداً . ورحم الله
 من قال انتقاداً

ذهب الدين يعاش في اكافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب

وهذا القائل هو الشاعر لييد . آلى على نفسه كلما هبت الصبا ان
ينحر ويطعم . وربما ذبح العناق . اذا ضاق الخناق . والزم ذلك نفسه في
الاسلام . فلما كانت ايام عثمان . رضي الله عنه جعل ديوان لييد
بالكوفة . يا هذا علمت الناس الكرم فأفقرتهم . وعرضتهم للذلة والمسئلة
واهنتهم . كما قال الشاعر

الجود افلسهم وغير حالهم * واليوم ان سألوا النوال تمحلوا
وقال الاخر

جاء الشتاء وما عندي له ورق * فيما عدت وما عندي له خلع
كانت فبدها جود ولعت به * وللساكنين ابضاً بالندى ولع
فبش هذا الكرم . الذي اعقب الحسرة والندم . وجعل صاحبه
في حيز العدم . كما قال ابن المعتز . الخليفة الاعظم

يارب جود جرّ فقر امرء * فقام في الناس مقام الذليل
فاشدد عرى مالك واستبقه * فالجمل خير من سؤال الجمل
وقال الاخر

اشفق على الدرهم والعين * تسلم من الغيبة والدين
فقوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين
وقال الاخر

في كل شيء سرف * بكره حتى في الكرم
ولربما الفان لا * افضل من النى نعم

وقال الاخر

لحفظ المال خير من عطاء * وسعي في البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه * ولا يبقى الكثير مع الفساد
وقال محمد بن الجهم : اتركوا الجود للملوك . فانه لا يليق الا بهم .

ولا يصلح الا لهم . ومن عارضهم في ذلك افتقر واقتضح . فلا يلومن
 الا نفسه . وكان الكندي يقول قول لا يدفع البلا . وقول نعم يزيل
 النعم . ثم اني اراك تلج بذكر الكرم والكرام . كأنك خسيس طبع .
 تنظر لما في ايدي الانام . واني بحمد الله قد افدتهم كنز القناعة .
 والزمتهم العفة خير بضاعة . ولم اكشف عن احد قناعه . ولسان حالي
 يقول على رؤس الجماعه

اذا عطتاك اكف اللثام * كفتك القناعة شعباً ورياً
 فان اراقة ماء الحيا * دون اراقة ماء المحيا
 فكن رجلاً رجله في الثرى * وهامة همته في الثرى
 وكذا يقول

امطري لؤلؤه جبال سرند * ب و فيضي آبار تكرور تبر
 انا ان عنت لست اعدم قوتاً * ولئن مت لست اعدم قبراً
 همتي همه الملوك ونفسي * نفس حر ترى المذلة كنفراً
 وكذا يقول

وما شيء باثقل وهو حق * على الاعناق من منن الرجال
 فلا تفرح بشيء تستربه * بوجهك نه بالوجه غالي
 وكذا يقول

قنع من الدنيا بميسورها * واشرب قراح الماء بالكف
 وكف نفساً طال اهامها * فانما الراحة بالكف
 وفصل الخطاب في هذا واولى . قول صاحب اليد الطولى . صلى الله عليه
 وسلم : اليد العليا خير من اليد السفلى . تفخر يا هذا بشعر من افتخر بجمع
 الكافات وقد افتخر في زمي بعض الادباء بجمع الرآت حيث قال آتياً
 بالسحر الحلال

عندي فديتك رأت ثمانية * التي بها الحرّ ان وافي وان وَرَدَا
 راح وروح وريحان وريق رشا * ورفرف ورياض ناعم وَرِدَا
 وازيدك قول بعض السادات . منوّثاً بالنونات

للصيف سبع من النونات رائقة * يا حسنها من ذوات اوقيت دنسا
 نور وُنور ونوم فوق غمرقة * ناعورة ونسيم طيب ونسا
 والله در من قال

يقولون كافات الشتاء كثيرة * وما هي الا واحد غير مفترى
 اذا كان كاف الكيس فالكمل حاصل * لديك وكل الصيد في باطن الفرا
 وما احسن قول الاخر

وكافات الشتاء تعد سبعا * وما لي طاقة بلقاء سبع
 اذا ظفرت بكاف الكيس كفي * ظفرت بمفرد يا تي يجمع
 واين انت يا من يتفاخر من قول الاخر

جاء الشتاء وما الكافات حاضرة * وانما حضرت منهن ابدال
 قلّ وقرّ وقلب موجع وقلّا * وقادر هاجر والقيّل والقال
 وقول الاخر

جاء الشتاء يبرد لا مرد له * ولم يطق حجر قاس يقاسيه
 لا الكاف عندي ولا الكانون متقد * كني ظلامي وكيسي قل ما فيه
 دع الكباب واخل (الكف) واسفا * على كسا انغطي في دياجيه
 وقول الاخر

هم البرد والشتاء وما أم * لك الا رواية العربية
 وقيصاً لو هبت الريح لم تب * قى على عاتقي منه بقيه
 وقول الاخر

جاء الشتاء وليس عندي درهم * وبمثل هذا قد يصاب المسلم

لبس العلوج خزوزها وفرائها * وكأني بفناء مكة محرم
وقول الآخر

ليس عندي من آلة البرد الا * حسن صبري ورعدتي وفتوعي
فكأني لشدة البرد هرث * يرقب الشمس عند وقت الطلوع
فيل لاعرابي ما اعددت للبرد . قال طول الرعدة . وتقرص القعدة
وذرب المعدة . ونظمه بعضهم في قوله

فيل ما اعددت لا * برد وقد جاء بتدء
قلت دراعة عري * تحتها جبة رعدة

وقال الآخر

قال هل اعددت شيئاً * للثنا قد جا بعنصر
قلت ثوباً من مدام * كلما مدت تدسفي
قال الاصمعي : رأيت اعرايا قد حفر قرموصا اي حفرة قعد
فيه في اول الشتاء . فقلت ما صيرك الى هذا . قال شدة البرد . واشأ يقول
ايا رث هذا البرد اصبح كالخا * وانت بصير عالم ما تعلم
اثن كنت يوماً في جهنم مدحلي * ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم
فظهر بمحمد الله اني انا اخلل الموافق . والصديق الصادق . والطيب
الحاذق . اجتهد في مصلحة الاصحاب . وارفع عنهم كلفة حمل الثياب
واخفف اتقالم . واوفر اموالهم . واكفيهم المؤنة . واجزل لهم المعونة .
واغنيهم عن شراء الفراء . واحقق عندهم ان كل الصيد في جوف الفرا
كما قاله الحبيب بن حبيب

وملبسي كل ظريف . وشفاف خفيف . مثل التاش . وما يحصل به
الاتعاش . اما سمعت ما قيل

التاش في الصيف جنة * ومن اذى الحر جنة

لكنني تعزيني * به لدى البرد جنة
 فلما سمع الشتا هذه المقالة . شمر وضم اذياله . وتنفس الصعداء
 وقال يا عدو السعداء . ما هذه الوقاحة . والمجازفة بالصراحة . رميتني
 بدائها وانسلت . يرى القذاة في عين اخيه . ولا يرى المسلة في عينه تدميه
 يا طالما قتل هذا المجازف كثيرا . ولا ترك اميرا ولا فقيرا . ولا كبيرا
 ولا صغيرا . جلب اليهم اشياء . من السرسام وعضال الداء . وكلف
 الاغنياء السفر الى المواضع الباردة . فهربوا منه وصرفوا المصاريف
 الزائدة . وكلف كل شخص حمل مروحة يطرده بها . ويخفف عن
 نفسه ما نابها من الكرب وحل بها . سيما اذا انضم اليه حر الهوى والهوان
 وحر البعاد والهجران . ومع ذلك يخرج الهوى من مروحته حارا كوقته
 اما سمعت بقصة الفقير الذي عشق مملوك السلطان الاشرف . فحجبه عنه
 ثم رق له حين على الموت اشرف . فامر به بالوصول اليه . فجعل يروح عليه
 فرفع الفقير رأسه وتنفس . وانتد وكان آخر النفس

روحني عائدسي فقلت له * لا لا تزدني على الذي اجد
 اما ترى النار كلما خمدت * عند هبوب الرياح تلتقد
 وقال العلامة البدر الساري الشيخ عبد الحفيظ القاري حفظه الباري
 ابظن ملسوع الفؤاد بانه * ان هز مروحة يخف لهيبه
 او ما دري ان الهواء يزيد * لهبا اذا ما غاب عنه حبيبه
 ومثله للفاضل الاديب الشيخ عثمان الراضي

ولقد تروّح بيتي * بردا لكبد منه حرى
 فاثار بالمسدود مة * صور الهوى فازداد حرا
 وله ايضا

يا من تروّح بيتي * من الهواء براده

ان الهواء يقينا * هو الهوى وزباده

وقال اخر

ومروحة جعلت راحة * لحر الهجين وتلهيبه
كان سليمان اهدى لها * نسيمان الريح تسري به

وقال اخر

ومروحة جاء النسيم بها يجري * يبرد اكبادا اذيت من الحر
حوتها يد كالبحر والبحر دونها * واطيب ما جاء النسيم من البحر
وقد كتب بعض الادباء الى رفيقه : اشكو الى مولاي صيفاً
لا بطيب معه عيش . ولا ينفع به تلج ولا خيش . وانظروا ايها الناس
الادبا الى هذا الذي يرى رأي اهل اوربا . يتخذ البخل مذهباً .
ويجعله شرفاً ومنصباً . ينسى ما اقترضه الله من الزكاة . طهر الله اعتقاده
وزكاه . لم يسمع ما جاء في ذم البخل . ما هو اشد من لسع النحل .
قال الشعبي ما افلح بخيل قط . اما سمعت قول الله تعالى «ومن يوق شح نفسه
فاولئك هم المفلحون» . وقال المأمون لمحمد بن عبد الله المهلبى . بلغني انك
متلاف . فقال يا امير المؤمنين منع الجود . سوء ظن بالمعبود . وهو
تعالى يقول : وما تنفقوا من شيء فهو يخلفه . وهو خير الرازقين . ويقال
البخل ابدأ ذليل . ويقال لا مرؤة لبخل . ويقال شر اخلاق الرجال
البخل والجبن . وهما من اخلاق النساء . وقال الجاحظ البخل والجبن
غريزة واحدة يجمعهما سوء الظن بالله . وقال غيره . البخل يهدم مباني
الكرم . وقال الشاعر

لا يسود امرؤ ببخل ولو مسّ بيافوخه عنان السماء

وقال اخر

ذريبي فان البخل يا ام هيثم * لصالح اخلاق الرجال مروق

وما انت ايها الصيف الا كما قيل : يمنع دره . ودر غيره . ويحسد
 ان يعطي . ويزهد ان يعطي . قال الشاعر
 وغيظ الحسود على من يجود * لا عجب عندي من بخله
 واني اوصي احبائي ارباب الهمم بلزوم الكرم . واذا قعد الزمان بواحد
 منهم . فليطلب حاجته من الامراء ومن علا مجدا وقدرا
 وقال الشاعر

اذا ما طلبت نوال الفتى * وقد نالك الدهر من شدة
 فلا تسألن فتى كالحا * اصاب الرياسة من كده
 وقال الاخر

دعوني ورسمي في العفاف فاني * جعلت عفافي في حياتي ديدني
 واعظم من قطع اليدين على الفتى * صنعة برّ نالها من يدي دني
 فلما سمع ذلك القيظ . كاد ان يثيز من الغيظ . وقال يا هذا
 ما اجهلك . وما اعقل عقلك . تجاوزت طورك . وما عرفت قدرك .
 ما مرض من مرض . الا بقضاء وقدر . وترك المحافظة على اسباب الصحة
 والنظر فيما يصلحني ويناسبني . وما يليق بزمني . زرحم الله من قال
 صبرا على حلو الزمان ومره * واعلم بان الله بالغ امره
 والحر من يلقي الخطوب بصدرة * وبصبره وبحمده وبشكره
 والحر سيف والذنوب لصفوه * صدى وصيقله نوائب دهره
 ليس النوائب غير افعال امره * يحزى به من خيره او شره
 واذا اصبحت بما اصبحت فلا ثقل * اوديت من زيد الزمان وعمره
 ولرب امر قد امضك عصره * ليلا فبشرك الصباح بيسره
 ولرب ليل في الهموم كدمل * صابرة حتى ظفرت بفجره
 وما سافر الناس الى الاراضي الباردة فرارا مني . فاني احل بها
 وهي لا تستغني عني . بل يسافرون لجلب المكاسب . ورؤية العجائب .

وتحصيل التجارب . ونزهة انفسهم . ورياضة افكارهم . في تلك الرياض
وهاتيك الحياض . وتناول الفواكه الشبيهة . والثمار الجنية . التي طالما
اشتاقت اليها نفوسهم الاية . فلم يظفروا في زمانك بتلك الامنيه .
وقد قيل :

تنقل فلذات الهوى في التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل
ولا اسفاً فيما بصرف في ذلك . فليس لك من مالك الا ما اكلت
فانيت . اولبت فابليت . او تصدقت فابقيت . وبذلك يظهر فضل
الغني . وجمال عيشه الهني . وهكذا حالي . بمعنى وهو حالي . لا بد
لفضلاء الناس . والسادة الاكياس . ان يتمشوا في تلك الرحاب الفسيحة
والرياض النظرة المليحة . مع هاتيك الوجوه الصبيحة . والاصوات الحسنة
المريجة . والتي للهموم مزيج . فيزهو زمانهم . ويعلمون شأنهم . وتصفو
اذهانهم . وترتاح نفوسهم . ولا تضيق صدورهم . بالركون الى الكن
الذي هو عن زينة الدنيا مستكن . المطلوب في زمانك . الذي تغلق فيه
الابواب . وتسد فيه الثقاب . حتى كان صاحبه ليل مظلم . وصاحبه في
حبس مؤلم . وهذا شاعر زمانني يترنم

لم لا اهتم الى الرياض وطيبها * واخذ منها تحت ظل ضافي
والرهر لمحظني بتغر باسم * والماء يلقياني بقلب صافي
اما ما ذكرت من امر المراوح . التي فضلها غاد ورايح . فهي من محاسني
ومن فضل زماني . حسناً لعبت بها الشمول . وغدا لسان حالها يقول
انا في الكف لطيفه * مكني قصر الخليفه
اذا لا اصلح الا * لظريف او ظريفه
او وصيف حسن ال * قد تشبه بالوصيفه
وكذا يقول وقد حنفها القبول

انني اجلب الريا * ح وبني يذهب النجل
 وحجاب اذا الحية * ب ثنى الرأس للقبل
 وكذا يقول وقد جرت الديول

انا المحبوبة العظمى * اذا ما الصيف قد اقبل
 واما في الشتا الجافي * فلا اهدى ولا اقبل

اما سمعت ما حكاه ابو الفوارس قال كنت يوماً عند السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب فحضر رسول صاحب المدينة . ومعه قود وهدايا فلما جلس اخرج من كه مروحة بيضاء عليها سطران بالسعف الاحمر وقال الشريف يخدم مولانا السلطان ويقول هذه المروحة ما رأى مولانا السلطان ولا اخذ من بني ايوب مثلها فاستشاط السلطان صلاح الدين غضبا فقال الرسول يا مولانا السلطان لا تعجل قبل تأملها وكان السلطان ملكا حكيما فتأملها فاذا عليها مكتوب

انا من نخلة تجاور قبرا * فاق من فيه سائر الناس طرا
 شملتني عناية القبر حتى * صرت في راحة ابن ايوب اقرا
 واذا هي من خوص النخل الذي في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
 فقبلها السلطان ووضعها على رأسه وقال لرسول صاحب المدينة صدقت فيما قلت من تعظيم هذه المروحة . وما احسن قول بعضهم

ومحبوبة في القيظ لم تفل من يد * وفي القر تسلوها اكف الجباب
 اذا ما الهوى المقصور هيج عاشقا * انت بالهوا الممدود من كل جانب
 وقال الآخر

يا سائلي عن نسيم طي مروحة * اهدت سرورا بترجيع وترويح
 اما ترى الخوص اهدى من مراوحه * ما اودعته قديما نسمة الريح
 والطف منه قول الآخر

نهيت الحبيب عن المروحة * لمعني وحسبك ان اشرحه
 لقد خفت ان مرّ فيها النسيم * ولا مس خديه ان يجرحه
 وقال الآخر واجاد

ومروحة اهدت الى النفس روحها * لدى القيظ مبثوثًا باهداء ريحها
 روينا عن الريح الشمال حديثها * على ضعفه مستخرجًا من صحيحها
 وقال الآخر

ومبثوة في كل شرق ومغرب * لها امهات بالعراق قواطن
 يحرك انقاس الرياح حراكها * كأن نسيم الريح فيهن كامن
 والله در القائل في المستديره

ومروحة ان تاملتها * ترى فلكا دارًا في اليد
 وتطوى وتنشر من حسنها * فتنبه فنزعة الهدهد

واما مروحة الحيش فقد قال فيها ابو نواس لعنات جارية الناطفي
 اجيزي : العيش في الصيف خيش . فقالت : اذ لا قتال وجيش . وقد
 ذكرها الحريري في مقاماته حيث قال اسمعوا وقيم الطيش . ومليتم العيش
 واستد ملغزًا في مروحة الحيش

وجارية في سيرها مشمعة * ولكن على اثر المسير قفولها
 لها سائق من جنسها يستحمها * على انه في الاحتشاث رسلها
 ترى في اوان القيظ ينطف ماؤها * ويبدو اذا ولي المصيف قحولها
 وهذه المروحة تسببه بشراع السفينة تعلق بالسقف ليتروّح بها وتبلّ
 بالماء وترش بآء الورد ويستد فيها جبل يدار به متسيها فاذا اراد الرجل
 النوم يجدها بمجبلها فتذهب بطول البيت وتجي فيهب منها على صاحبها
 نسيم طيب الرائحة فيذهب عنه الاذى ويستطيب النوم وهي فوقه ذاهبة
 جائيه . ولذلك سماها الحريري جاريه

وفيهما قال بعضهم

وخيش كما انجرت ذبول غلائل * مصدأة يفتال فيها الكواعب
وقد اطلعت فيها الشائل وانثنت * مقيدة عن جانبيها الجواب
ومن ملح الصاحب بن عباد قوله لابي العباس الحارث في يوم قيظ
ما يقول الشيخ في قلبه وهو الخيش جناسا مقلوبا وقال الشهاب ابن ابي حجلة
المروحة محدثة في زمن بني العباس وكان سبب حدوثها ان هارون الرشيد
دخل يوما على اخته عليّة بنت المهدي في قيظ شديد فوجدها قد صبغت
ثوبًا من زعفران وصندل ونشرته على جبل ليحف فجلس هارون قريبا من
ذلك فجعلت الريح تمر على الثوب فتحمل منه ريحا بليلة عطرة فوجد لذلك
راحة من الحر واستطابه فامر ان يصنع له في مجلسه مثله والمروحة منه جاءت
واما ما نسبته الي من الجبل فهو افتراء . وكذب وبهتان بلا صراء . انما
عنيت بكلامي الذي سلف . ذم السرف الذي يعقبه التلف . كما جاء عن
السلف . وقد قال تعالى في كتابه المبين . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين
وانت قد اوصلتهم الى حد السؤال . واليه ارتدتهم ا لم تسمع من قال
ما اعتاض باذل وجهه بسواله * عوضا وان قال الغني بسوال
واذا السوال مع النوال قرنته * رجع السوال وخف كل نوال
وقال الاخر

لنقل الصخر من قلل الجبال * احب الي من منن الرجال
يقول الناس كسبك فيه عار * فقلت العار سيف ذل السوال
ويروى ان لقمان قال لابنه يا بني حملت الصخر والحديد . فلم ار
اثقل من الدين . واكلت الطيبات . وعانقت الحسان فلم اصب الذ من
العافية . وذقت المرات . فلم اجد امر من الحاجة الى الناس .
وقال الاخر

وذقت مرارة الاتياء جمعا * فما طعم امر من السوال

وقد قيل جلّ في عينيك من استغنى عنك . وقيل من لم يستوحش من
 ذل السؤال . لم يأنف من ذل الرد . وكان مطرف يقول اذا كانت
 لاحدكم حاجة فلا يواجهني بها فاني اكره ان ارى فيكم ذل المسألة .
 ولكن ليرفعها في رقعة . فان الشاعر قد صدق في قوله .

يا ايها المعتاد بذل الجمال * وطالب الحاجات من ذي النوال
 لا تحسب الموت موت البلاء * وانما الموت سؤال الرجال
 كلاهما موت ولا تكن ذا * اشد من ذاك لذل السؤال

وقال اخر

لا تغضبني على امره * لك مانع ما في يديه
 واغضب على الطمع الذي * استدعاك تطلب ماله

وقال اخر

لا تكن طالباً لما في يد النا * س فيزور عن لقاءك الصديق
 انما النذل في سوالك للناس * س ولو في سوال ابن الطريق

وقال اخر

من عف خف على الصديق لقاءه * واخو الخواثج وجهه مملول
 واخوك من وفرت ما في كيسه * فاذا اعترضت له فانت ثقيل
 فلما سمع الشتاء . قال ما زلت تلتزني يا فتى . بسى . الخطاب . وتموه الجواب
 وترثني الصعاب . وانت بعيد عن الصواب . ولولا اني موجود . لم تفرح
 بموجود ولا بعود . ولم تنفخر بخضرة الرياض . وتدفق مائها الفياض . لم
 تسمع ما قيل ايها الثقيل .

خضرة الصيف من بياض الشتاء * وابتسام الثرى بكاء السماء
 فما انت الا لثيم . خب ذميم . لا تعرف المعروف . بل ولا انت معروف
 ارى الاحسان عند الحر دينا * وعند النذل منقصة وذما

كأه القطر في الاصداف در * وفي جوف الافاعي صار سما
ولو نظرت الى نفسك . وعرفت ما قيل في وصفك ما هت بينت شفه
ولا نطقت بذاك السفه . ولا خرجت الى ميدان المفاخرة . ولا تعرضت
للمناظرة فانظر الى قبيح عملك . وسوء فعلك . اذا جاء النهار . فتحت فيه
ابواب النار . واشتد الكرب والقلق ونضحت الابدان بالعرق . فغير لون
الثياب وعلاها . فان كانت جديدة حلها وبلاها . او قديمة زاد في
تمزيقها وبلاها . وتخرج منها رائحة يعظم بلاها كما قال فيه ابو بكر هذا (١)
عرق نقاطر في ثياب * كالبول رائحة ولونا
فيذبهها ويميت نفسا * يؤذي الوري ويزيد هونا
وتعظم حرارة الشمس . وربما ادخلت الرمس كما قال بعضهم الشمس
تشعب اللون . وتغير العرق . وترخي البدن . وتثير المرة ان احتجمت
فيها امرضتك . وان اطلت النوم فيها افلجنتك . وان قربت منها صرت
زنجيا . وان بعدت عنها صرت صقليا . وكما قال الشاعر
يقال تركت الذي حسنه * يكاد ينجعل شمس الضحى
فقلت وشمس الضحى تحنني * اذا بسطت في المصيف الاذى
ولله در القائل

في خلقة الشمس واخلاقها * شقي عيوب سنة تذكر
من صبحها النور لأمسائها * مغاير الاشياء لا يفتر
رمداه عمشاء اذا اصبحت * عمياء عند الليل لا تبصر
ويغتدي البدر لها كاسفا * وجرمه من جرمها اصغر
حرورها في القيظ لا تنقي * ونورها في القر مستحقر

«١» قوله ابو بكر هذا اي الحاضر مجلس المفاخرة والراوي للمناظرة وهو
المنشي وهو المراد سيفه كل ماسياً في انتهى

ليست بحسناء وما حسن من * يقصر عنه اللفظ اذ يخبر
 وصار الماء حاراً كأنه من حميم . وشاربه من سكان الجحيم .
 ينسبه ما يجده من اليبابه . ان يحمد الله على شرابه . وخرج السموم بطلب
 ويزار . ويطرق الابواب . ويشوي الوجوه . وينسف التراب . فتشدد
 به الحرارة والغموم . وتضاعف به على العاشق الهوم . كما قال ابو بكر هذا
 بعادك والهوى ولهيب عدل * سموم في سموم . في سموم
 صدودك والوشاة ومر عيشي * سموم في سموم في سموم

وقال الآخر

رب يوم هواؤه يتلظى * فيحاكي فؤاد صب متيم
 قلت اذ خدره حرّ وجهي * ربنا اصرف عنا عذاب جهنم
 فقام الصيف وقد تفصد عرقاً . وصوت سمومه فرقاً . وقال ايها الشتاء
 الخابط خبط عتواء . الراكب متن عمياء . والشائب وهو في العيب والعواء
 اتفاخري وانت في الخضيف وتناظري وانت الثقيل البغيض . تجعل
 المحاسن مساوياً . وتمشي على المكر طاوياً . تمتن على . وتزعم انك اسديت
 الي ان كان الامر كذلك . فما انت الا كما قيل هنالك .

لا تمسح ابن عباد وان هطلت * كفاه بالجود حتى اجمل الديما
 فانها خطرات من وساوسه * يعطي وينع لا بخلا ولا كرم
 ولو سلم فقد اصنعت بالامتنان . والاساءة والبهتان . الم تسمع ايها
 المنان . ما قيل في ذاك الزمان

اذا زرعت جيلاً فاسقه غدا * ماء المكارم كي ينمو لك التمر
 ولا تشنه بمن فالدسي ذكروا * من عادة المن ان يؤذى به الشجر

وقول الآخر

اذا الجود لم يرزق خلاصاً من الاذى * فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقياً

وفي النفس اخلاق تدل على الفنى * اكان مخفاء ما اتى ام تساخيا
اما حرارتي فهي من حرارة الشمس . لانها تكون اذا في البروج
الشمالية وتقرّب من الرأس كما قال الشاعر . حاوي المفاخر

ان العلى حدثتني وهي صادقة * فيما تحدث ان العزفي النقل

لوان في شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوماًدارة الحمل

افتعيبها بذلك وهي تدبير الحكيم المالك . ما انت الا هالك

وفي تعب من يحسد الشمس نورها * ويجهد ان يأتي لها بضرب

اما تعرف بها الاوقات . ويشتد النبات . ويستدل على طريق الصواب

ويعلم عدد السنين والحساب . قد جعلها الله رحمة للعباد . ومصلحة تدرأ

الفساد . قال ارسطو الحكيم . في الزمن القديم . لو توارثت الشمس عن

الارض لما ت حيا . وانثن طينها . وجمد ماؤها . لانها في الارض

كالكبدة والدم في الجسد . وقد تغزلت فيها الشعراء . بما هو ازهي من

الزهرة الزهراء . فمن ذلك قول بعضهم

وسائرة لا ينقضي الدهر سيرها * وليست على حية من الناس تنزل

لها صاحب لم تلقه الدهر مرة * على اثرها يمشي يسير ويعمل

وما هي الا كما قيل . الشمس بين الكواكب . كالملك بين الموابك

والباقي كالاعوان والجنود . وجمال الرايات والبنود . فهي جمال ايامي .

ومدة مقامي . حتي يأتي زمانك المشوم . فتبعد في جهة الجنوب المعلوم .

وتختني بالغيوم . التي تأتي بالغموم كما قال الشاعر

جاء الشتاء واجتال غيم اغبر * وتطلعت شمس عليها مغفر

وقال ابن المعتز

تظل الشمس ترمقنا بطرف * خفي لحظه من خلف ستر

تحاول فتق غيم وهو بأبي * كعنين يحاول فتق بكر

ولذلك قالوا في المثل : شمس الشتاء للشيخ الذي طعن في السن وبلغ
ساحل الحياة كما اتى ما هو الا شمس العصر على القصر واما خروج العرق
من الجسد . فذلك من لطف الله الأحد . ومن تمام الصحة واذا قول
بالمروحة . كان لذة وراحة . وعرفه تابع لشوبه فان كان مطيباً فانه يتحدر
ويتروشح كالمسك الازفر قال الشاعر : «الطيبون ثياباً كلما عرقوا» . قال انس
ابن مالك رضي الله عنه : دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم فنام عندنا
فعرق وجاءت امي بقارورة فجعلت تسلك العرق فيها فاستيقظ صلى الله
عليه وسلم فقال يا ام سليم ما هذا الذي تفعلين قالت عركك نجعله في
طيبنا وهو من اطيب الطيب وما احقه بقول القائل

تنشق مسك اصداغي حلالا * فهذا الطيب من عرق الجبين
وتراه يتقاطر كاللؤلؤ اذا انتثر . او الطل على اوراق الشجر . او
دمع الحب عند الفراق والسهر . كما قال ابو بكر هذا

عرق الحبيب اذا تحدر * كالطل في ورق نضطر
او لؤلؤ يزهر وينثر * او دمع مهجور نضطر
وما اللطف قول بعضهم

قيلت وجنته فالقت جيده * خجلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكي الطل فوق الآس
فكأنني استقطرت ورد خدوده * بتساعد الزفرات من انقاسي

وقال الاخر

سقى الله روضاً قد تبدى لناظري * به شادن كالغصن يلهو ويمرح
وقد نضحت خداه من ماء ورده * وكل اناء بالذبي فيه ينضج

وقال الاخر منضمنا

وطل علي ورد حكي خد غادة * به عرق من خجلة يتصب

واوراق كرم قد حكت كف سائل * لمن بات في نعمائه يتقلب
وقال آخر

بدا عرق في خده فسألته * بماذا تندى قال لي وهو يمزح
الا ان ماء الورد خدي اناؤه * وكل اناء بالدسي فيه ينضح
وما اظرف قول الآخر

في خده عرق بدا * ذا حمرة لصفائه
هذا يصدق قولهم * الماء لون اناؤه
ولله در القائل

وكلل الطل اوراق الغصون ضحى * كما تكمل خد الخلود بالعرق
واطلق الطير فيها شجور منطقته * ما بين مختلف منها ومتفق

واما الماء فانه لوجود الباعث هنى . ولا يطيب ولا يلذ الا في زماني
يبرد بالليل والسموم . فيشفي الغليل والعموم . واما في زمانك فلا يساغ
وليس له باعث ولا مساغ . يجمد ويحجر . وربما قتل واضجر . وقد شاع
واشتهر . والعذب بهجر للافراط في الخصر . قال معاوية رضي الله عنه
ما شيء الا عندني من شربة باردة في يوم صائف ونظري الى بني وبني
بني يدرجون حولي . واما ما ذكرت من السموم . فدواؤه معلوم . وبه
يصير عين النعيم . واطيب من النسيم . اذا انزوى صاحبي الى جانب
بيته او روضه . وسكب الماء حوله على ارضه . طاب هواؤه . وبرد ماؤه
اما فضله ونتيجته وفائده وثمرته فامر عظيم . ونعيم مقيم . النخل الباسقات
الحسان . التي وصفها خالد بن صفوان . بقوله : هي الراسخات في الوحل .
المطعمات في المحل . الملقحات بالفحل . المونعات كشهد النحل . تخرج
اسقاطا . غلاظاً واوساطا . ثم تنتقى عن قضبان الجين وعجبد . كالدر
المنضد . ثم تصير ذهباً احمر بعد ان كانت في لون الزبرجد

كان النخل الباسقات وقد بدت * لناظرها حسناً قباب زبرجد
وقد علقت في فرعها زينة لها * قناديل ياقوت بامراس عسجد
وقال الآخر

روض كمخضر العذار وجدول * نقشت عليه يد الشمال مباردا
والنخل كالميف الحسان تزينت * فلبسن من اثمارهن قلائدا
اما سمعت ما حكي من ان ملك الروم كتب الى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ايام خلافته بلغني ان ببلدك شجرة تخرج ثمراً كآذان الحمير
ثم تنشق عن احسن من اللؤلؤ المنضد . ثم تخضر كالزبرجد الاخضر ثم
تحمّر وتصفّر فتكون كشذور الذهب وقطع الياقوت ثم تينع كاطيب الفالودج
ثم تيبس فتكون قوتا فان كان كذلك فلا شك انها من شجر الجنة .
فكتب اليه صدقت رسلك وانها الشجرة التي ولد تحتها المسيح عليه السلام
ولله در من قال في وصف حمارة

جسم لطيف المسكنه * قد لف في ثوب من الصوف
وقال الآخر واجاد

اهدى لنا حمارة * من لست اخلو من عدايه
مكنا هي جسمه * لما تجرد من ثيابه
وقال الآخر في وصف طلعه

كصدر فتاة ناهد شق قلبها * سماع فشقت عنه ثوباً ممسكا
وقال ابن المعتز

افدي الذي اهدى لنا طلعة * اهدت الى قلبي المشوق بلا بلا
فكنا هي زورق من فضة * قد اودعوه من العيين سلاملا
وقال الآخر في بلعة

اما ترى النخل اطلعت بلحا * جاء بتيراً بدولة الرطب

مكاحل من زمرد خرطت * مقتمعات الروس بالذهب

وقال الآخر في بسرة

انظر الى البسر الذي تبدى * ولونه قد حكى الشقيقا

كانما خوصه عليه * زبرجد مثر عقيقا

وقال الآخر فيه

اما ترى النخل حاملات * بسرا حكى حمرة الشقيق

كانه من عقود تبر * منظم السبك بالعقيق

وقال الآخر فيه

اما ترى البسر الذي * قد جاءنا بالعجب

كيف غدا ولونه * كعاشق ملتهب

وقال الآخر في رطبة

اما ترى الرطب المجنى لا كله * حلوى أعدت لنا من صنعة الباري

ما باشرتها يد العقاد في عمل * في الدست يوماً ولا حطت على النار

وقال الآخر في وصف رطبة وتمر

اهلج من الجين * مسمر بالنضار

يشف مثل كؤوس * مملوءة من عقار

وقال آخر

اهدى لنا رطباً خلّ اخوتقة * باحبذا هو من رزق لنا رزقا

يذوب من قبل مضغ الاكلين له * انسى به اذ اتانا اللوزج العبقا

كانه اتد لونا والصبيق دكا * والشهد طعماً بماء الورد قد فتقا

فظهر بحمد الله العلام . اني محض خير وانعام . بي نصبت الثمار

وصلح الرطب واستحكم الحب وادرك الحصاد . واخصبت الارض وكثر

الريف وازداد . ودرت اخلاف النعم . وسمنت البهائم . واشتدت قوى

الابدان . وبطر الانسان . وصارت الدنيا كأنها عروس منعمة رعاء .
ذات جمال وبهاء . واما انت ايها الشتاء اذا جئت جاءت غمة غماء . ترعب
القلوب وترعد الاعضاء . بصوت كزئير الاسد . وتأثني بريح مزعجة تنسف
التراب في وجه كل احد

وريح يضل الروح عن مستقره * وتسلب الركبان فوق الركائب
وقال ابن المعتز

بلينا وقد طاب الشراب واوقدت * حمياه في الفتیان نار تشاط
بأبرد من كانون في يوم شمأل * وأكثر قسواً من ریح شباط
واني قد خصت بنسيم الصبا . نسيم الروح والصبابة والصبأ . مذكر
ايام الشباب . وحامل رسائل الاحباب . ينفس عن المكروب . ويداوي
القلوب . وهو لطيف صافي . وظريف شافي . يذكي الازهانة . وينفع
الابدان . ويبسط الاخلاق وينشط الكسلان ولا سيما ان مرمروج
الازهار . فانه يحمل قواها الى الدماغ والجنان كما اشار الى ذلك الشاعر
وصبأ انت من قاسيون فكنت * بهوبها وصب الفؤاد البالي
خاضت مياه النيرين عشية * واثلك وهي بليلة الاذبال
وقال الآخر

لا تبعثوا غير الصبا بغيمة * ما طاب في سمعي حديث سواها
حفظت احاديث الهوى وتضوعت * نشرأ في الله ما اذكاها
وقال الآخر

يداوي اسي العتاق من طيب ارضكم * نسيم صبا اضحى عليه قبول
بروحي من ذاك النسيم اذا سري * طيب يداوي الناس وهو عليل
وقال الآخر

سرت من بعيد الدار لي نسمة الصبا * وقد اصححت حسري من السير ضالعه

ومن عرق مبلولة الجيب بالندى * ومن تعب انفاسها متابعه

وقال الآخر

ايا جبلي نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الي نسيمها
اجد بردها او تشف مني حرارة * على كعبد لم يبق الا صميمها
فان الصبا ريح اذا ما تنسمت * على نفس مهموم تجلت همومها
والشمال وان كانت تهب في زمانك بقوة . فهي في اكثر اوقاتي باقي
بلطف وحنوه . كما قال الشاعر

وكما هبت شمالية * اسأَلها عنك واستغبر

اعرف منها طيب انفاسها * اشارة عندي هي العنبر

وكان صاحب بن عباد يترجم بقول ابي نواس

هبت لنا ريح شمالية * منّت الى القلب باسباب

اذت رسالات الهوى بيننا * عرفت من بين اصحابي

وقال الآخر

وهبت لاصحابي شمال لطيفة * قريبة عهد بالحبيب بليل

ترانا اذا انفاسنا مزجت بها * ترنح سيف اكوازنا وتميل

وما الطف قول الآخر

جاد النسيم على الربا * بندي يديه وقال لي

انا ما اقصر عن ندى * وكما علمت شمالي

وما ارق قول الآخر

الا يا نسيم الريح مالك كما * تدانيت منا زاد نشرك طيبا

اظن سلمي خبرت بسقامنا * فاعطتك رباها فجئت طيبا

يا هذا تضر العيون والاسماع . وتحدث الزكام والصداع . وبأقي

معك مطر مداوم . كأنه خصم ملازم . برعود تزعج القنوب . وغيوم

تزيد في الكروب . وسحاب مركوم . يضاعف الغموم . وبروق تجهر
 العيون . ويحقق منها قلب المحزون . فيعوق المواعيد بين المحبين . ويؤذي
 المسافرين . ويخرب العمران . ويهدم البنيان . فكم من قتيل تحت هدمه
 وساهر تحت وكفه . وغريق في لجته . وصريع في هوته . قال اعرابي
 اصابنا مسافر . يؤذي المسافر . ولا يرضي الحاضر . وقال الشاعر
 صيرت منزلي خرابا ومن عا * داتها ان تحرب المهورا
 وقال ابن المعتز

زوبنا فما تزداد يارب من حيا * وانت على ما في النفوس شهيد
 سقوف لبيتي صرن ارضا ادومها * وحيطان داري ركن ومجود
 ويقال المطر مفسد الميعاد ويقال عاقت الامطار . عن الاوطار .
 وحالت الاحوال . عن الوصال . قال الشاعر

لا تخرج تبتكاً خالصة نفعه * فالغيث لا يخلو من العيث
 وقال آخر

ابرء من برد الكوانين * زيارة الراجل في الطين
 لا يصلح التسليم يوم الندى * الا لاصحاب البراذين
 وينزل معه البرد والتلج . ويكون على الناس اشد من الشج . يخرج من
 الزمهرير . ويجعل الماء كالقوارير . وهذه ارض مصر يضربها ويؤذي
 زروعها واذا جاء اليها ارتفعت قلوب اهلها وقد خصها الله بالنيل
 الذي يكون وفاؤه في زمان . فيأتي بالسرور والرخاء والاماني . اما
 سمعت ما قيل

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا * كالروض تطفو على نهرا زاهره
 وللوفاء عمود من اصابعه * مخلق تملأ الدنيا بشائره
 وقول الآخر

لعمرك ما مصر بمصر وانما * هي الجنة العليا لمن يتفكر

وابناؤها الولدان والخور عينها * وروضتها الفردوس والنيل كوثر
وما الطف قول الشاعر

فلوان السحاب همي بعقل * لما اوى مع النخل القنادا
ولو اعطى على قدر المعالي * سقى المضبات واجتنب الوهادا
وتوقد فيك النيران . فيطير شررها في المكاث . ويحرق الشباب
ويجعلها سودا . كفى بذلك شوما معدودا . كان الناس حولها . يحوس
يعدونها . يعرضون عليها في جميع اوقاتهم . وهي لباسهم وهي فاكتهم
قال الشاعر

النار فأكهة الشتاء فمن يرد * اكل الفواكه شائياً فليصطل
وقال الاخر

رأيت بلاد الروم لا عيش عندهم * يطيب ولا صفو يعادل اكدرای
وكيف يطيب العيش لي بين فتية * نهاراً وليلا يعرضون على النار

وقال الاخر

وصوبة في مجلس * كانها جهنم . وحولها زعانف * كلمهم معمم
والمقتسل في زمانك . يشرف على الحمام . فيكثر في ايامك دخول
الحمام . الذي قال فيه الامام علي كرم الله وجهه يشس البيت الحمام
تكشف فيه العورات . وترتفع فيه الاصوات . ولا يقرأ فيه آية من
كتاب الله تعالى . وقد ذمه الرقاشي بقوله يهتك الامتار . ويولف
الافذار . وبذهب بالوقار . وفي الخبر . ان الحمام من بيوت الشياطين .
قال الشاعر يحث على سرعة الخروج منه . والبعد عنه

خذ من الحمام واخرج * قبل ان يأخذ منك . حذ تأعنه والا * حدث الحمام عنكا

وقال اخر

وحمام رأيت بها غزالا * كبدر التم في غصن قويم

فقلت تعجبوا من صنع ربي * رابت الحور في وسط الجحيم

وقال آخر

وحمام دخلتاها لامر * حكت سقرا وفيها المجرمونا
بنادي داخلوها اخرجونا * فان عدنا فانا ظالمونا

وقال آخر

ان حمامنا الذي نحن فيه * قد اتاخ العذاب فيه وخيم
مظلم الارض والسماء والنوا * حي كل عيب من عيبه يتعلم
وله مالك غدا خازن النسا * ر بل مالك ارق وارحم
كلما قلت قد اطلت عذابي * قال لي اخسا فيها ولا تشكلم
قلت لما رايته يتلظى * ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

وقال آخر

جئت اريد الحمام يوما * ففزني النعش والحصير
حتى اذا جئت نلت ريحا * كانما تنبش القبور
والناس عند الصدور فيها * قد يبست منهم الصدور
تعرف هذا من حسن هذا * وقد علا منهم الهدير
اقبل خوف الوقوع رجلي * فيها كما ينقل الضير
جهنم لا يصاب فيها * وهج بل الكل زهير
قد عرفت فالحديت عنها * بنحس اوصافها يسير
وكما جاءها زبور * قلنا ألم باتكم نذير

وقال آخر

حمامنا من ضيقها تشكي * كأنها صدر وقد اخرجوه
فهي لظى نزاعة للتوس * وماؤها كاللؤلؤ يشوي الوجوه
فلما سمع ذلك التواء * قال يافتي ما احراك في التمثال . بقول من قال

لي صاحب اقدية من صاحب * حلوا التها في حسن الاحتيال
 لوشاء من رقة الفاظه * الف ما بين الهدى والضلال
 يكفيك منه انه ربما * قاد الى المعجور طيف الخيال
 ماهذه السفسة والمشغبة والمغالطة اما ما ذكرت من تجمد
 الماء وتحجره من يردي فذلك من الخطأ الذي يزري بقائله ويردي
 فقد قال الجاحظ . الماء ليس يجمد للبرد فقط . فقد تكون الليلة باردة
 جداً ولا يجمد الماء . ويجمد في الليلة التي هي اقل بردا منها . وقد يختلف
 جهود الماء في الليلة الساكنة وذات الريح . قال وقد اخبرني من لا ارتاب
 في خبره . انهم كانوا في جبل يستقنون فيه بلبس المبطنات . ومتى صبوا
 ماء في اناء من زجاج جمد من ساعته . فليس جهود الماء من البرد فقط .
 ولا بد من شركة . ومقادير واختلاف جوهر . ومقابلات كسرعة البرد
 في بعض الازمان . وابطائه عن بعض واختلاف عمل البرد في الماء
 المغلي والمتروك على حاله ولقد رايت انا بالبادية الماء قد بلغ به البرد الى
 حد ما كنت اطيع ان ابشره وهو مع ذلك على حالة لم يعمل فيه
 الجهد وربما جمد ماء جيحون حتى بلغ غاظ الجمد فيه ذراعاً فصاعداً وشربه
 لذيد لا يقدر الشارب ان يعبه عابكاً افاده الزخشي واما الماء البارد
 في زمانك فهو منسوب اليّ ومدحه عائد عليّ وقد ذكر الوداعي في
 تذكرته قال حدثني جماعة من اهل عانة وهي من العراق انه اذا كان
 اوان الاربعينيات في الكوانين طرحوا في الماء كيزانهم وشراباتهم
 مدة الاربعينيات فاذا انقضت رفعوها الى زمان الصيف وشربوها فيها الماء
 فانها تبرد بردا كثيراً يقوم مقام الثلج كما نقله بعضهم قال وذكر لي الوزير
 العالم الفاضل فخر الدين عبد الرحمن بن مكاس ان ماء طوبه اذا شيل
 الى الصيف وسكب في آنية الماء برد الى الغاية وان ماء هذا الفصل لا يفسد
 اذا شيل بخلاف غيره من الفصول فانظر هذا الاستعداد لاجل حرك

الذي يزيد الاكباد اما الرياح التي في زماني فانها كما قيل
رياح تبشر الارض بالقط * وكذيل الغلالة المبلول
ووجوه البقاع تنظر الغي * شانتظار المحب رد الرسول
وما هو من هذا القبيل
والريح تجذب اطراف الرءاء كما * افضى الشقيق الى تنبيه وسمان
وليست كما قيل

الريح اقود ما تكون لانها * تبدي خفايا الردف والاعكان
وتجمل بالاغصان عند هبوبها * حتى تقبل اوجه الغدران
فلذلك العشاق يتخذونها * رسلا الى الاحباب والاوطان
وقيل الرياح اربعة ريح تقسم السحاب وريح تثيره فتجعله كسفا وريح
تؤلف بينه فتجعله ركاما والشمال تفرقها قال مطرف لو حبت الريح عن
الناس لاتن ما بين السماء والارض وعن ابى هريرة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول . الريح من روح الله . ولم يصف احد
الريح الا القائل الفصيح

كان شكل الهلال قرط * او عطفة النون او قلامه
كان لون الهواء ماء * او سندس رق او غمامه
وكانك لم تسمع قول القائل . ايها الصيف القاتل
ويوم قيظ اذاب جسمي * والماء لم يشف لي غليلا
قد صح موت النسيم فيه * وكان عهدي به غليلا

ويا عديم الحيا . تدم المطر والحيا . الذي هو قوام العالم . وحياة بني
آدم الذي مدحه الله في كتابه المبين . وجعله رحمة ورزقا للعالمين .
ومدحه الادباء حديثا وقديما . ثرو نظما . قال بعضهم مرحبا بالغيث
الذي اغاث الانام . وروى الهضاب والاكمام . واحيي النبات والسوام

وقال آخر يا فرحنا بالغيث الذي احببى الورى . ونبه عيون النور من الكرى
وقال ابن عباس رضي الله عنه . المطر بعل الارض . يعنى انه يلقحها ومنه
اخذ ابن المعتز قوله .

ومزنة مشعلة البارق * تبكي على الارض بكاء العاشق
تلقي بالقطر بطون الثرى * والقطر بعل التربة التائق
وقال بعضهم

اتى هذا النشار على نظام * وجاء الخير اذ جاد الغمام
فللوسمي في ارضي بكاء * وللزراع ابتهاج وابتسام
وقال آخر

قفا فاعجبنا من هامل الغيث انه * لا أعجب شيء بحجب العين والفكر
يمد على الافاق بهض خيوطه * فيسج منه للثرى حلة خضرا
وقال الاخر

كأن السحاب الغرلا تجمعت * وقد فرقت عنا الهموم بجمعها
نياق ووجه الارض قعب وتلجها * حليب وكف الريح حالب ضرعها
وقال الاخر

يهنيك ان القطر حين بدا * بشر السرور به من الرمس
نطقت بنات اللهو فيه معاً * من بعد بعد الصوت والهمس
يا هذا اتدم السحاب والغيم . والرعد والرق . وقد ابدى الشعراء فيهما
كل معنى راق ورق . فمن ذلك قول بعضهم

سحاب اتى كالاً من بعد تخوف * له في الثرى فعل الشفاء بمدنف
اكب على الافاق اكباب مطرق * بفكر او كالنادم المتلطف
ومد جناحيه الى الارض جانحاً * وراح عليها كالغراب المرفرف
وقول الاخر

اما ترى الرعد بكى واشتكى * والبرق قد اومض واستصحكا

فاشرب على غيم كصبغ الدجى * اصمحك وجه الارض لما بكى
وقول الاخر

يوم له فضل على الايام * مزج السحاب ضياءه بظلام
فالبرق يخفق مثل قلب هائم * والغيم يبيكي مثل طرف هائم
وكأن وجه الارض خد متميم * وصلت دموع سحابه بسجام
فاطلب ليومك اربعا عن النسي * وبهت تصفو لذة الايام
وجه الحبيب ومنظر امستشرقا * ومغنيا غردا وكأس مدام

وقول اخر

كأنما الرعد بها تاكل * نادية تخط نوحا بشجي
فاقده واحدا تذكرت * ما قدمضي من عيشها ومن مضى
والبرق في حاماتها يفعل ما * يفعل وجده الحزين في الحشا

وقال الاخر

بالله يابرق ان اومضت في اسحر * وحارس اللحظ في شك من الخبر
قف بالثنيات واذكرني اذا عذبت * منيهلات عذيب الثغر في السحر
وتدم ايها العليج البرد والتنج * لم تنظر الى حسنهما ولطفهما لم تسمع ما قيل في وصفهما
فمن ذلك قول بعضهم

تترت على الحصباء كالحصباء بل * القت على الرضراض كالرضراض
وقول الاخر

تتر الجوع على التراب يرد * اي در لنخور لو جمد

وقول الاخر

جاءت نهادي في رويد من حبر * تنتردرا كف لو ذاب مطر
نظير في الجو كوار الرمز * او شرر لو كانت للماء شرر
وقول بعضهم

نظر الى وسط البسيطة ايضا * لم تبد فيه شامة سوداء
كرم السحاب فم بالثلج الثرى * انت الكريم له اليد البيضاء
وقول الآخر

اقبل الثلج فانبطح للسرور * ولشرب الكبير بعد الصغير
اقبل الجو في غلائل نور * وتهادسه بلؤلؤ منشور
فكان السماء صاهرت الار * ض فكان النثار من كافور
وقول الآخر

ذهب ككؤسك يا غلا * م فانه يوم مفضض
وقول الآخر

اما ترى البرد قد وافى عساكره * وعسكر الحر كيف انصاع منطلقا
والارض تحت ضرب الثلج تحسبها * قد البست حبكا او غشيت ورقا
فانهض بنار الى فحم كانهما * في العين ظلم وانصاف قد اتفقا
جاءت ونحن كقلب الصب حين سلا * بردا فصرنا كقلب الصب اذ عشقا
وقول الآخر

راحت به الارض الفضاء كأنها * من كل ناحية بشغرك تضحك
وقول الآخر

نثر السحاب على الغصون دريرة * اهدت لنا نورا يروق ونورا
شابت ذوائبها معدن كأنها * اجفأت عين تحمل الكافورا
وما احسن قول الآخر

طربت الى الصبوح مع الصباح * وشرب الراح والفرد الملاح
كان الثلج كالكافور نثرا * ونار عند نارنج وراح
فتمسوم ومشروب ونار * وصبح والصبوح مع الصباح
لهيب سيب لهيب سيب * صباح في صباح في صباح

وكان صاحب بن عباد اذا شرب ماء بثلج انشد على اثره
 قمقمة الثلج بماء عذب * تستخرج الحمد باقصى القلب
 ثم يقول اللهم جدد اللعن على يزيد وقالت رابعة القيسية ما سمعت
 الاذان الا ذكرت منادي يوم القيامة وما رايت الثلج الا ذكرت تطاير
 الصحف وما رايت الجراد الا ذكرت المحشر وهكذا اهل الاعتبار والفكر
 لم في كل شيء نظر واما ما ذكر من امر مطر مصر فهو مثل يضرب للشيء
 النافع يتضرر به في كل عصر فهو من عيوب مصر الم تسمع هذا الشعر
 يقولون مصر اخصب الارض كلها * فقلت لهم بغداد اخصب من مصر
 وما مصر الا بلدة مثل غيرها * تعاقبها الايام بالعسر واليسر
 ولكنكم تطرونها جهواكم * ولم تخل ارض من محب ومن مطر
 والا فآين الخصب من معشر بها * يقاسون انواع العذاب من الفقر
 وما خير قوم تجذب الارض عندهم * بما فيه خصب العالمين من القطر
 اذا بشروا بالغيث ريعت قلوبهم * كما ريع في الظلماء سرب القطا الكدر
 واين القطر الذي هو كثر الدرر من كثافة النيل الذي يقطع السبيل
 ويعظم البلاد ويتنت العباد ويهدم البناء اما سمعت ما جاء فيه من المعجا
 من ذلك قول المستغنى لما طغى

يارب ان النيل زاد زيادة * دث الى هدم وفرط شنت
 ماخره لو جا على عاداته * في دفعه او كان بدفع بالتي
 وقول الاخر

قالوا علا نيل مصر في زيادته * حتى لقد بلغ الاهرام حين طما
 فقلت هذا عجيب في بلادكم * ان ابن ستة عشر يبلغ الهرما
 واما استشهادك بقول فلان السحاب همى بعقل الخ فهو من قبيل
 قول ابن الراوندي

كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه سرزوقا
 هذا الذي ترك الاوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا
 وهو احد زنادقة الاسلام الثلاثة والثاني ابو العلاء المعري والثالث
 ابو حيان التوحيدي . قال الحافظ الذهبي واشدهم على الاسلام التوحيدي
 لانهما صرحا وهو يجمع وقد رد عليه كثير من العلماء قوله هذا فمن ذلك
 قول بعضهم

هذا الذي زاد اهل العلم معرفة * وزادهم بالاله الحق تصديقا
 فليس بالجهل صار الرزق منبسطا * وليس بالعلم صار الرزق مخوفا
 وانما هي ارزاق مقدرة * بحكمة الله فاسأل منه توفيقا
 وما احسن قول بعضهم وهو كالرد عليه ايضا

عجبت من ربي ورببي حكيم * ان يحرم العاقل فضل النعم
 ما ظلم الباري ولكم * اراد ان يظهر عجز الحكيم

والله در القائل

بنال الفتي من دهره وهو جاهل * ويكدي الفتي من دهره وهو عالم
 ولو كانت الارزاق تأتي على الحجا * اذن هلكت من جهلن البهائم
 وفصل الخطاب في هذا المقام قول الملك العلام الله الذي يرسل
 الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء فتري الودق يخرج من
 خلاله وقوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا
 اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فازلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات
 كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون . والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه
 والذي خبث لا يخرج الا نكدا . كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون .
 وحسبك ذما قولهم سحابة صيف وقرائع الصيف تأتي فتفر الناس ثم تخلف
 الوعد بالياس فكانها تقول لا ماس وتبخل لاجلك بل الكاس . واما

النار فلا ينكر فضلها ولا يجحد . ولا يستغنى عنها دائماً كل احد . ومنافعها يطول حصرها ويصعب ذكرها قال تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا . وهي احد العناصر الاربعة واعظم ما زجر عن المعصية واذا وصفوا شيئاً بالحسن قالوا ما هو الا نار موقدة قالت امرأة انا احسن من النار الموقدة وقيل في الاخوان هم بمنزلة النار قليلها ينفع وكثيرها يضر

وفي الحديث : المصباح مطردة للشيطان مذبة للهوام مدقعة للصوص النابغة . ولا شك انها من محاسني وجمال زماني وقد جاء المثل بها مثبتا النار فاكهة الشتا وقر الشتا كيف لورا بيتها في مجلس في كانون يلقي فيه العود بغير قانون قد طار منها الشرار كأنها درر وقت النثار او شهب وقت الانتصار اما سمعت ما جاء فيها من الاتعار فمن ذلك قول بعضهم

هات التي للآيك اصل ولادها * ولها جبين الشمس في الاشماس
بتقتع اليافوت في لباتها * بوساوس تنفي من الوسواس
انس الوحيد وصبح عين المجتلى * ولباس من امسى بغير لباس
حمراء ترفل بالسواد كأنما * ضربت بعرق في بني العباس

وقول الآخر

لابنة الزند في الكوانين جمر * كالدراري في الليلة الظلماء
خبروني عنها ولا تكذبوني * ألبها صنعة الكيمياء
سبكت فحمها سبائك نبر * رصعته بالقضة البيضاء
كلما ولول النسيم عليها * رقعت في غلالة حمراء
سفرت عن جبينها فأرنا * حاجب الليل طالما بالعشاء
لو ترانا من حولها قلت قوم * يتعاطون أكؤس الصها

وقول الآخر

كأنما الجمر والرماد وقد * كاد يوارى من ناره النورا

ورد جني القطاف احمر قد * ذرّت عليه الا كف كافورا

وقول الاخر

اما ترى النار كيف اسقمها السق * ر فاضحت تنجو وطورا تسعر
وغدا الجمر والرماد عليها * في قيصين مذهب ومعتبر

وقول الاخر

كانما النار والرماد معا * وضوءها في ظلامه يحجب
وجنة عذراء مسها نخل * فاستترت تحت عنبر اشهب

وقول الاخر

كانما النار في تلهيها * والفحم من فوقها يغطيها
زنجية شبكت اصابعها * من فوق نار نجمة تغطيها

وقول الاخر

فحم ذككا في حناء جمر * فقلت مسك وجلناز
وخذ من قد هويت لما * اظل من فوقه العذار

وقول الاخر

وفحم كأيام الوصال فعاله * ومنظره في العين يوم صدود
كان لهيب النار يوم خلاله * بوارق لاحت في غمام سود

وقول الاخر في كانون

وذي اربع لا يطيق النهو * ض ولا ياب السير فيمن سرى
تحمله سيجا اسودا * فيقلبه ذهباً احمر

ولا يهتم بها ولا يقدر على ابقادها الا القوم الكرام والسادة العظام
من تجملت بهم المدن والقرى وبسطوا مواثد القرى اذا ضل عنهم ضيفهم
رفعوا له من النار في الظلاء الوبة حمرا

قال الآخر

ضربوا بمدرجة الطريق خيامهم * يتقارعون على قرى الصيفان

ويكاد موقدم يجود بنفسه * حب القرى حطبا على النيران

وقال الآخر

لنيرانه في الحي اي تحرق * على الضيف ان ابطا واي تلهب

وقال الاخر ايضا

متى تأته تعش الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد

وقال الآخر

يرد اليك ما انشدته * ويهدم عليك ما شيدته

وقال الآخر

رأيت بلاد الروم عبثي عندهم * بطيب وصفوي لا يشاب باكدار

فقد ضل من قد قال فيهم بانهم * نهارا وليلا يعرضون على النار

وقال ابو بكر هذا ايضا

وصوبة وقت الشتاء في مجلس * تزهو على صوب الغمام وتفخر

عامود نور بالعقيق مجوف * من ارضه لسمائه اذ تنظر

من حوله اولي النباه اكبر * خضع الزمان لمجدهم فتأ مروا

وكان هذا الغافل والمسكين الجاهل لم يعرف قدر النار واقسامها وما

ضرب من الامثال فيها مما 'ضيف اليها وهي نار الله نار ابراهيم نار موسى

نار القربان نار الحرتين نار الشجر نار القرص نار الحرب نار الحلف نار

المسافر نار المجوس نار الاصطلا نار الانذار نار الاستكثار نار الاستمطار

نار التهيؤ نار الصيد نار الرحفتين نار الغضا نار الحلقا نار الحياحب نار

البرق نار المعدة نار الحمى نار التوق نار الشر نار الحياة نار الشباب نار الشراب

نار الكي نار الذبالة فبسة العجول ناراش النار مرادق النار سعد النار

نافع ضرره . واما الحمام فهو لذة الحياة ونعيم الدنيا وشفاء البدن وجمال الحيا

قال جالينوس ان الحمام نافع في الشتاء والصيف ولمن مزاجه حار او بارد

او رطب او يابس وليس هذا موضع الاستقصا في منافعه وما قيل فيه ولكن
 نذكر طرفاً من مدحه قال ابو هريرة يرفعه نعم البيت الحمام يدخله المسلم
 يسأل الله الجنة ويستعيذه من النار قال بعض السلف نعم البيت الحمام ينقى
 الاقدار. وبذكر النار ومدحه الرقاشي نفسه بقوله يذهب القشافة ويعقب
 النظافة وينشي التخمة ويطيب النخمة وقال بعضهم الحمام صيقل الاجسام
 ونظام النظافة ودافع آفة القشافة وكأنك يا هذا لم تر حمامات بغداد وما
 فيها من حسن البناء والاستعداد الم تسمع بحمام بوران وحمام دار الملك
 الاشرف الذي اتخذ شبائكه وانايبه من فضة وذهب وبعضها على هيئة
 الطيور المحببة واذا خرج منها الماء صوّت باصوات طيبة الى غير ذلك مما
 يدهش اللب . اما سمعت بحمام دار جمال الملك وزير المسترشد بالله
 العباسي الذي فيه مستراح فيه انبوب ان فركه الانسان يمينا خرج ماء
 حار وان فركه شمالا خرج ماء بارد . اما بلغك حمام منجاب بالبصرة
 الذي يقول فيه الشاعر

يارب قائلة يوماً وقد ولعت * كيف الطريق الى حمام منجاب
 واما ما اورده من الاشعار في ذم الحمام فذلك في نوع خاص لم
 يكن متقناً باحكام بان زادت حرارته او نقصت عن المرام او لم يكن فيه
 استعداد تام والحمام النافع هو المعتدل في حره وبرده الطيب الرائحة
 والعذب الماء والذي اضواؤه كثيرة مشرقة وفتاؤه واسع وفيه تصاوير
 بدیعة الصنعة بينة الحسن مثل عاشق ومعشوق او مثل رياض وبساتين
 وطرود خيل ووحوش فان في تصوير هذه تقوية القوى الفكرية وغيرها .
 قال الحكيم بدر الدين بن قاضي بعلبك في كتاب مفرح النفس : قد
 اجمع الحكماء والاطباء والالباء قاطبة على ان النظر الى الصورة الجميلة
 الی بدیعة الجمال تفرّج النفس وتنشطها وتزيل عنها الافكار والوساوس

السوداوية وثقوي القلب قوة لا مزيد عليها بسبب ازالة الافكار الردية عنه . ثم قالوا فان تعذر حصول النظر الى الصور الجميلة فليكن النظر الى الصور الجميلة متقنة الصنعة مصورة في الكتب او في الهياكل او في القصور المشرفة وهذا المعنى قد ذكره الحكيم محمد بن زكريا الرازي وبالف في ملازمته لمن لم يجد في نفسه افكارا ردية ووساوس فاسدة غير موافقة للنظام الطبيعي واطال . يا هذا اما سمعت قول الشاعر

يت بنه حكام الورى * فهو الى الحكمة منسوب
يجاور النار ولصكنه * يجاور النار به الطيب
حره هو الروح لاجسامنا * والحر لاجسام تعذيب
وقول الاخر

اسعيد هل لك في زيارة منزل * تشي عليه جوارح الزوار
يت ترى الجدران فيه منابعا * وترى السماء كثيرة الاقمار
وقول الاخر

قم بنا قبل غرة الاصبح * وقيام السقا بالافداح
نتمشى الى النعيم الذي فيه صلاح الاجسام والارواح
يت ظرف تجول عيناك فيه * بين بيض الطلا وبيض القفاح
ونلاقي الجسوم في خلق من * رفاق على الجسوم ملاح
فاذا ما صقلت جسمك فيه * باكف النعيم صقل الصفا
تتروى من الصبوح وتقت * من نسيم الرياح قبل الصباح
وقال الآخر

وبيت كاشاه الحب دخلته * وما لي تياب فيه غير اهالي
أرى محرما فيه وليس بكعبة * فما ساغ الا فيه خلق ثيابي
يشابه قلب الصب في حر قلبه * اذا اذنت احبابه بذهاب

توهمت فيه قطعة من جهنم * ولكنها من غير من عقاب
يشير ضباباً بالنهار غللاً * بدور زجاج في شمس قباب
وقال الآخر

لم انس ما عشت حماماً حلت به * ما بين كل رخم الدل فتات
في جنة من طباع اربع جمعت * ارض وماء واهواء ونيرات
فقلت من حرها برداً على كبدي * وفزت من مالك فيها برضوان
فاعجب لها جنة فيها جحيم لظى * تذكي ولم تخل من حور وولدان
ونقل عن ابن بسام قال دخل الاديبان ابو جعفر بن هريرة التليطلي
المعروف بالاعمي وابو بكر بن بقی الحمام فتعاطيا العمل فيه قال الاعمي
يا حسن حمامنا وبهجتته * مرى من السحر كله حسن
ماء ونار حماما كنف * كالقلب فيه السرور والحزن
ثم اعجبه المعنى فقال

ليس على لونا مزيد * ولا الحماما ضرب
ماء وفيه لبيب نار * كالشمس في ديمة تصوب
وابيض تحتها رخام * كالثلج حين ابتدا بدوب

وقال ابن بقی

حمامنا فيه فصل القيظ يخدم * وفيه للبرد حر غير ذي ضرر
ضدان بنعم جسم المرء بينهما * كالغصن بنعم بين الشمس والمطر
وقال الاعمي وقد نظر فيه الى فتى صبيح

هل استمالك جسم ابن الامين وقد * سالت عليه من الحمام افداء
كالغصن باشر حر النار من كشب * فظل يقطر من اعطافه الماء

وقال الآخر

ان حمامنا الذي نحن فيه * اسيء ماء به واية نار

قد نزلنا به على ابن معين * وروينا عنه صحيح البخاري

وقال الآخر

ولم ادخل الحمام من اجل لذة * فكيف ونار الشوق بين جوانحي
ولكنني لم بكفي فيض مقلتي * دخلت لابي من جميع جوارحي

وقال آخر

ولم ادخل الحمام ساعة بينهم * لاجل نعيم قد رضيت بيومي
ولكن لتجري عبرتي مطمئنة * فابكي ولا يدري بذاك جليسي

وقال آخر

وما اشبه الحمام بالموت لامرء * يذكر لكن اين من يتذكر
يجرد عن اهل ومال وملبس * ويصعبه من كل ذلك مثرر
والغزفيه بعضهم بقوله

ومنزل اقوام اذا ما تقابلوا * تشابه فيه وغده ورئيسه

يتفس كربي اذ يتفس كربه * ويعظم انسي اذ يقل انيسه

اذا ما اعرت الجوطرقات كثرت * على من به اقماره وشموسه

فلما تم كلام البرد قال له الحرُّ اَفِّ لك من خصم الد وثقيل تجاوز الحد
وفاسق وجب عليه الحد تقابل بالهزل الجد وانت في الغي مجد . واما
ما نسبته الي من ذم المطر فهو مغالطة وكذب يؤثر انما عنيت كثرت
وتواليه المضر كيف وقد ورد في الخبر : اللهم حوالينا ولا علينا وقال الشاعر
اقلل زيارة من تهوى زيارته * قالناس من لم يواصلهم اجلوه
كالغيث فيه غياث الناس كهم * ولو يزيد على يوميت ملوه
واما النار والحمام فلا شك ان صحبتها شؤم وحمام . واما قولم سخابة
الصيف فهو مثل يضرب لما يقل لبته ويخف مكثه وشبه بها غضب
العاشق . وقال احد الحكماء الذين وقفوا على نابوت الاسكندر ورعى كل

منهم بحكمة بالغة : انظر الى حلم النائم كيف انقضى والى سحب الصيف
 كيف انجلي . وكان ابن شبرمة اذا نزلت به نازلة ينشد سحابة صيف عن قريب
 نقشع . ومن فصل للصاحب سحاب الصيف اثبت من قولك واخط سيف
 الماء اقوى من عهدك . وفي كتاب المنهج اقبال الدنيا كالمامة ضيف او
 سحابة صيف او زيارة ضيف . اما سمعت قول الاصفهاني منوهاً بشأني
 طبع الكريم لا يحتمل حمة الضيم وهواء الصيف لا يقبل غمة الغيم . يا هذا
 ليالك طويل وعلى القلوب ثقل يمل منه الصحيح ويضجر منه العليل ضاعف
 الوجد على المهجورين وقطع الطريق على المحبين طالما خاطبوه وهو
 لا يجيب ولا يرثي للنحيب قاطن لا يظعن او عاجز قد ازمى او هائم ضل
 الطريق او سكران لا يفيق او اسير مكبل في الحديد او دهر لا يلى منه
 الجديد او اعمى يش من رؤية الصباح او طائر مقصوص الجناح قال الشاعر
 ايها النائمون حولي اعيو * في على الليل خشية وادكارا
 حدثوني عن النهار حديثاً * او صفوه فقد نسيت النهارا
 وقال الاخر

وليل ككواكبه لا تسير * ولا هو منه يطيق البراحا
 كيوم القيامة في طوله * على من يراقب فيه الصباحا
 وقال الاخر

اقول والليل في امتداد * وادمع الغيث في انسحاق
 اظن ليلى بغير شك * قد بات يبكي على الصباح
 وقال ابن المعتز

اقول وقد طال ليل الموم * وسامرت نجوى فؤاد مقيم
 ترى الشمس قد مسحت كوكباً * وقد طلعت في عداد النجوم
 وقول الاخر

ولرب ليل ناه فيه نجمه * قطعتة سحرًا فطال وعسا

وسأله عن صبحه فاجابني * لو كانت في قيد الحياة تنفسا

وقال اخر

كأن الثريا راحة تشبه الدجى * ليعلم طال الليل ام قد تعرضا
فليس تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجي له انقضا

وقال اخر

لما رأيت النجم ساء طرفه * والجو قد التى عليه سياتا
وبنت نعش في الحداد سوافرا * ايقنت ان صباحهم قد ماتا

وقال الاخر

ان طال ليلى بعدم فلطوله * عذر وذاك لما اقاسي منهم
لم تسر فيه نجومه لـكنها وقفت لتسمع ما احدث عنهم

وقال اخر

وليلة ارفني طولها * فبتها في حيرة الداهل
كأنما انتقت لافراطها * في طولها من امل الجاهل

وقال الاخر

رب ليل كانه الدهر طولاً * قد تناهى فليس فيه مزيد
ذي نجوم كأنها أنجم الشيب ليست تغور لا بل تزيد
ومع طولها الممل تخرج البراغيت كأنها ليوث فتفسد وتعوث فكم من
مغيث ولا مغيث قال الشاعر

رقصت براغيت التنا فاجابها الـ * ناموس حالاً بالغناء المعلم
ونواجد البق الكتيف بطبعه * طرباً على شرب المدامة من دمي

وقال اخر

لا بارك الله في البعوض ولا * بورك في البق والبراغيث

تناهبونا كأنهم عرب * أو أماناء الحكم في الموارث
فلما سمع ذلك الشتاء قال إلى متى إلى متى تموه الزيف وترتكب حد
السيف تقبح الحسن بكلام مسنحين

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه * والقوم أعداء له وخصوم
كضرائر الحناء قلن لوجهها * حسداً وبخساً أنه لنديم
أما طول ليلى فهو من فضلي كيف لا وقد جعله الله سكناً ولباساً
وجعل فيه أنساً وابتاساً بالأنيف والسكن والحبيب الأغنى وهو وقت المنا
والمنادمة وكم نديم فيه سنك المنى دمه ألم تسمع ما قاله الأريب

انصب نهاراً سيفه طلاب العلا * واصبر على بعد لقاء الحبيب
حتى إذا الليل بدا داجياً * واكتحل بالغمض عين الرقيب
فبادر الليل بما تستهي * فانما الليل نهار الأدب
كم فاسق تحبه ناسكاً * يستقبل الليل بأمر عجيب
ارخى عليه الليل أتوابه * فبات في أمن وعيش خصيب
ولدة الاحق مكتوفة * يسعى بها كل عدو مرب
وهو وقت القيام والتعبد والنجاة والتعبد فيه انس العباد وحياة
الزهاد . قال الامام المجل أحمد بن حنبل : لولا الليل لما احببت البقاء
في الدنيا . وقال الآخر

سمهري لتنقيح العلوم الذلي * من وصل غانية وطهب عناق
وهو يطول على صاحب الفكر والكثيب وعلى المهجور ومن دارق
الحبيب ويقصر على المسرور النائى والتعبد القائم . قال أبو بكر هذا
يا خليلي طال ليلى بالنكر * وزماني قد رماني بالعبر
ودواني بالاناني في مطر * في رياض زاهيات بالزهر

وشفائي في شفاي في لمي * مزجها شهيد وخمر في السحر
وقال الآخر

ان الليالي للانام مناهل * تطوى وتنشر بينها الاعمار
فقصارهن مع المموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار
وقال الآخر

لا اظلم الليل ولا ادعي * ان نجوم الليل ليست تغور
ليلي كما شاءت فان ما تزر * طال وان زادت فليلي قصير
تصرف الليل على حكمها * فهو على ما صرفته يدور
وقال الآخر

تطاول الليل لا تسري كواكبه * ام ان حار حتى صار حيرانا
ما طال ليلي ولا حارت كواكبه * ليل الحب طويل كيفما كانا
وقال الآخر

ورب ليل امد من نفس الع * تنق طولا قطعته بالتحاب
ونعيم اللذة من وصل معشوق تبدلته بيوم عتاب
وقال الآخر

رقدت فلم ترت للساھر * وليل الحب بلا آخر
ولم ادر بعد ذهاب الرقا * د ما فعل الدمع بالساھر
وقال الآخر

من قصر الليل اذا زرتني * اشكو وتشكين من الطول
عدو عيبك وشائيهما * اصبح متغولا بمتغول
وقال الآخر

يا ليلة كان من نقاصها * يعترفها العشاء في السحر
تطول في هجرنا واقصر في الوصل فما نلتقي على قدر

وقول الآخر

عهدي بنا ورداء الوصل يجمعنا * والليل أطوله كالصح بالبصر
فالآن ليلى مذ غابوا فديتهم * ليل الضير فصبحي غير منظر

وقال الآخر

اخو الهوى يستطين الليل في سهره * والليل سيف طوله جار على قدره
ليل الهوى سنة في الهجر مدته * لكنه سنة في الوصل من قصره

وقال الآخر

ليل المحبت مطوي جوانبه * مشعر الذيل منسوب الى القصر
اذا الحبيبان باتا تحت جانبه * غابت وائله في آخر السحر
ما ذاك الا لأن الصبح نمت بنا * فاطلع الشمس من غيظ على القمر

وقال الآخر

تطاول الليل عما كنت اعنده * لما رأيت وبت الجفن في قصر
وهما به مثل التذكار شخصك لي * طال الظلام فطالت مدة السهر
واما ما ذكرت من امر البرغوث فهو في الامكن القدرة يعوت وقد
يوجد في زمانك كما قيل

يا البراغيث طول الليل راتعة * أجل وطول نهار الصيف في جسدي
بليت منها بما نبلى الكرام به * من اللثم وهل البني وحسد
على انه قد قال الشاعر في مدحه

لا تكره البرغوث ان اسمه * بر وغوث لك لو تدرسه
فبره مص دم فاسد * والغوث بقاظك تلفجر
وقد ذكر العلماء فوائد لدفعه وطرده ومنعه كن لا يحق ان شرط

العزيمة الهمة وهي العزم الجازم كما قيل ته

اذا تخلفت امرا كنت تعنده * يجري الزمن على مجرى عوائده
فانما انت لم تكمل شرائطه * وان ذاك التواني من عوائده

ثم قال معنفاً للصيف يا صاحب الحيف تجعل تحاسني عيوباً . وقد كان
العيب عليك مضروباً . أما ننظر الى يومك الطويل . الذي هو كيوم الحساب
وليلك القصير المهيل . الذي تخرج فيه الدواهي من الثقباب واذا تعاطى
الشراب فيه الندامى . اصبحوا وهم امراض ندامى . الم تسمع من قال سيف
زمانى معترفاً بشافى

اسقني سرية الد عليا * واسق بالله مثلها ابن هشام
علاً ارداء بماء صحاب * انني لا احب شرب المدام
فقام الصيف واشهر السيف وزبحر وصال وسطا وقال . اما طول
نهارى فذاك من علومقدارى كيف لا وقد جعله الله معاشا وجعل فيه
من الربح 'نعماتا ومن كان فرحاً مسروراً يراه قصيرا قال الشاعر
وقصر يوم الصيف فيه ليلة الت * تاء سرور منه رهرف طأره

وقال الاخر

يطول اليوم لا القاك فيه * وحول نالقي فيه قصير
فله اسوة بطول ليلك لكن لا سواء ان كنت من اهل الانصاف
والحدوى واما قصر ليلي من عدم ثقلي ومن الفرح والسرور وزوال الكدر
والسرور كما انتدت نفسك من التعر ولا تشعر يا معرور ورحم الله من
قال يا مقررور

لست ادري طال ليلى ام لا * كيف يدري بذاك من يتقلى
و ترعت لاسطالة ليلى * ورعي اجود كنت تغلا
ان للعاشقين عن قصر الليلى * الم وعن ضوله من الهم تغلا
وقد تغرات التعراء قصر ليل ربيعي بنظم يفوق الشعر بحسن النوع
البيدي . قال العلامة السعدى في مختصره مائمه : وقد وقع في بعض اشعار
'عجم السعي عن 'تعجب مع التصريح بمادة التنبيه وحاصله لا تعجبوا من

قصر ذوائبه فانها كالليل ووجهه كالربيع والليل في الربيع مائل الى القصر
وهذا المعنى من الغرابة والملاحة بحيث لا يخفى انتهى وقد نظم مسند
الحجاز وزينة الزمان السيد احمد بن زيني دحلان بقوله

وجه الحبيبة كالربيع وشعرها * كالليل في الديجور حين يصير
لكن انت تلك الشعور قصيرة * فتعجب النقاد وهو بصير
فاجبتهم لا تعجبوا يا سادتي * ليل الربيع لدى الانام قصير
ونظمه العلامة الفضال الشيخ احمد امين بيت المال لا زال سيفه عن
واقبال بقوله

عجب العواذل من اضاءة وجهها * وقصور شعر بالسواد شهير
فاجبتهم هو كالربيع وشعرها * كالليل وهو لدى الانام قصير
ونظمه ابو بكر هذا بقوله

لا تعجبوا من ذا القصير ذوائبا * وجماله بين الانام بديع
شعر كليل والربيع كوجهه * والليل يقصر حين حل ربيع
ونظمه ايضا بقوله

لا تعجبوا من شعرها المتقاصر * وجمالها الباهي ككبد رها
فالشعر ليل والربيع بوحها * والليل يقصر في الربيع الزاهر
واما قولك لا يطيب فيه الشراب وانه يمرض الاحباب فهو مربة بلا
مربة كيف ذلك ومجلسهم منظوم بالبدر والنجوم والسميم بينهم يدب
ويحوم قال الشاعر

وقد اضاءت نجوم مجلسنا * حتى اكتسبت غرة واوضحا
ان جددت راحنا عدت دها * و د ب تفاخنا بد راحا
وقال الآخر

يا حسنها ليلة عاد النهار بها * اسأ وضيا وتراقا ولا لاء
قال الحسن بن وهب ترا شربت البارحة على وجه السماء وعقد الثريا

ونطاق الجوزاء فلما انتبه الصبح نمت ولم استيقظ الا بعد ان لبست قميص
 الشمس افي ليالك يلد الشراب وقد اوقدت النار وطار الشرار وكثر
 الدخان وعمشت العينان وسالت المنخران وتلجلج اللسان وبحت الاصوات
 وضاق المكان وسدت الانخراق والابواب والرعدة تدخل عليهم من كل باب
 ورعدة كقارئ متمتع * او خاطب بجماع لما ان خطب

كاسد يزئ او جنادل * تصطك وامواج بحر تصطب
 فما زلت تجلس الناس في الكن الذي هو عن السماء وزينتها مستكن
 وانا امتع الناس بها ولا من سيم يديرها بهجة الزمن فينظرون ويتعجبون
 ويرصدون ويحسبون يطيب لم السهر وولد السمر مع نجومها وبدرها وحس
 منظرها وتلاؤ نورها وانتظام دررها وما هي الا كما قيل كانت روضة مزهرة
 او صرح كس جواريه مسفره او غدير تطفو عليه الفواقع او بنفسج نور
 اقاسه لامع او مسح التي عليه درر غواص او ستر به لعين كل نجم وصوص
 او حجر في حلال رماد او كما قال من احاد

بساط زمرد تترت عليه * دنانير تحاطبها درم

ولله در القائل

رب ليل صحبته كسف البيا * ل حليف هم ستيت
 تحت سقف من البرجد قد * رصع حسنا بالدر والياقوت
 وما ابلغ قول الاحر

وبتنا نراعي الليل لو يطوى بده * ولم يجلب تيب الصبح في فوده وحطا
 نراه كملك الزنج في فرط كبره * اذا رام مشيا في تختره بطا
 مطالا على الافاق والبدر تاجه * وقد جعل الجوزاء في اذنه قرطا
 وحسبك ذما بين الملا قولهم في المثل اضيع من قر التنا كما
 قال الشاعر

حاطر يصنع الفرزدق في الته * ر ونحو يبيك ام الكساني

غير اني اصحبت اضيع القو * م من البدر في ليل الشتاء
فقام الشتاء وعبس وتأوه وتنفس وقال رويدا يا هذا كم تهذي بهذا
الم تعلم بان الحكم على الشيء فرع عن تصوره كيف تعييه من
غير ادراكه وتدبره والامعان في منظره والوقوف على مخبره اما الكن
الذي في ايامي ويعلوه بمقامي فهو مجلس قد انتظم واحتبك وازرى بالسماء
والفلك عقد فيه لواء الفرح والظفر على راس الانس والسر وغدا عرف
نده يضوع وقد اخاء بالشموع

شهب اذا جلب الظلام جيوشه * جلبت جيوش الصبح قبل اوانها
وقد اشرق بوجوه الندامى الذين فضلهم قد تسمى بقمم معلوم يعلو
على النجوم من كل ماجد تريف ولطيف ظريف وخليل صديق وذو
طبع رقيق وحبيب يغار منه بدر الدجا وتكسف منه شمس الضحى
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجرع ثاقبه
ويثفاوضون في حديث من قديم وحديث ارق من النسيم واحلى من
التسيم والشرح يطول وهذا احدهم يقول

وعشنا على رغم العذول بفضطة * كأننا خبايا السرفي صدر كاتم
كان ليالينا وقد طاب وقتها * بقايا سواد الكحل في جنن نائم
ويقول الاخر

ولي ولها اذا الكاسات دارت * رقى سحر تحمل عرى الموموم
محاذية الذة من الاماني * وبث جوى ارق من النسيم
ووصف بعضهم ذلك المجلس فقال

ومجلس لذة امسى دجاء * يضيء كانه صبح منير
تجمع فيه مشموم وراح * واوتار وولدان وهور
تلذذت الحواس الخمس فيه * بخمس يستتم بها السرور
فكان الضم قسم اللبس فيه * وقسم الذوق كسات تدور

والسمع الاغاني والغواني * لاعمينا وللشم البخور
ثم قال يا هذا اتفتخر بقمر السماء وبدر الدجى الذي يبدو اول الشهر
ناقصاً ويكون في اخره قالصاً وتذكر المثل الذي في جاء فيه نوع هجاء
عند من لم يعرف قدره وينظر الى بدري كيف لا وحسنه في اتساق لا
لا يعتريه كلف ولا محاق

بدري ارق محاسنا * والفرق مثل الصبح ظاهر
ولسان حالي يقول

ليل الحلى بات بدري وهو معتني * وبات بدرك مرميا على الطرق
شتان ما بين بدر صيغ من ذهب * وذاك بدري وبدر صيغ من بهق
ولو سمعت ما قال في القمر بعض اهل الظرف والنظر لم يفتخر به واليه
لم تنظر قيل له انظر الى القمر ما احسنه فقال والله ما انظر اليه لبغضي
فيه قيل ولم ذلك قال لان فيه عيوباً لو كانت في حمار لد بالعيب قيل
وما هي قال ما يصدقه العيان ويشهده الاثر فانه يهدم العمر ويقرب الاجل
ويحل الدين ويوجب كراه المنزل ويقرض الكتان ويغير الالوان ويسخن
الماء ويفسد اللحم ويورث الزكام ويعين السارق ويفضح العاشق الطارق
قال بعضهم اذا نام الانسان في ضوئه احدث في بدنه نوعاً من الاسترخاء
والكسل ويهيج عليه الزكام والصداع وقال ابن المعتز

يا سارق الانوار من شمس الضحى * ما مثل نورك في الدجى منقص
اما ضياء الشمس فيك فناقص * وارى زيادة حرها لم ينقص
لم يظفر التشبيه منك بطائل * متسلح بهقا كوجه الارص
وقال الاخر

لو اراد الاديب ان يهجو البدر * رماه بالخطبة الشنعاء
قال يا بدر انت تغدر بالسرا * رى وتغرى بزورة الحسناء
كلفني بياض وجهك يحكي * غمنا فوق وجنة برصاء

يعتريك الحاق في كل شهر * قري كالقلامة الحفشاء

وقال الاخر في ملىح عليه اخلاق

تري الشيا من الكتان بلحها * نور من البدر احيانا فيليها
فكيف تنكر ان تبلى غلائله * والبدر في كل وقت طالع فيها
وهو مأخوذ من قول الاخر

لا تعجبوا من بلى غلائله * قد زر ازراه على القمر

على انه قد قال بعضهم للوليد بن يزيد في كلام دار بينهما عجب
لمن لم تحرقه الشمس ولم يغرقه المطر كيف لا يشرب الا مصحرا فوالله ما
شرب الناس على احسن من وجه السماء اوسعة الفضاء ورقة الهواء وخضرة
الكلاء وقمر الشتاء ويكفيك ذما وهجاء انك معدود من جملة النساء كما
قالت العرب . الشتاء ذكر والصيف انثى . فقام الصيف وقال انظروا ايها
الرجال الى هذا المحب المختال والجهول الضال واسمعوا هذا الخبال في
ذم البدر والحلال في المحسوس جدال لقد صدق من قال اذا لم تسخ
فاصنع ما تشئت وقد صح المثل المشتهر نبح الكلب القمر ويكفي القمر مدح
الله له الذي رفعه واجله وفي تلك المنازل احله اسكنه السماء وخوله وجعل
النجوم عساكره وخوله واقسم به في قوله والقمر اذا اتسق فآيات القمر
ظاهرة كالفلق كم اوضح من طريق وهدى الرفيق الى الطريق وذكر محبوبا
محبوبه وبلغ طالبا غاية مطلوبه . به يشبه كل وجه حسن ويبتثل به في كل
ما يستحسن بسببه تزيد المياه ويكثر الدم الذي هو سبب الحياة وليالي
به تبرد والنسيم عند طلوعه يتردد وبه يصلح الزرع ويحصل النفع الم تسمع
ما يحكى ان اعرايا نام ليلة عن جملة فقده فلما طلع القمر وجدته فرفع الى
الله يديه وقال اشهد انك قد اعليته وجعلت السماء بيته ثم نظر الى القمر
فقال ان الله صورك ونورك وعلى البروج دورك واذا شاء قورك ولو شاء
كورك فلا اعلم مزيدا اساله لك فلئن اهدبت الى قلبي سرورا فقد اهدى

الله اليك نورا ثم انشد يقول
 ما ذا اقول وفيك القول ذو خطل * كفيثني فيك ذا التفصيل والجملا
 ان قلت لا زلت علويًا فانت كذا * او قلت زانك ربي فهو قد فعلا
 وما احسن قول الآخر

وحديقة غناء ينتظم النداء * بفروعها كالبدري في اسلاك
 والبدري يتسرق من خلال غصونها * مثل الملمح يطل من شباك
 وتعرض بنقص الهلال الم تسمع من قال
 ولاح لنا الهلال بتسطر طوق * على لبات زرقاء اللباس
 وقول ابن المعتز

اهلاً بفطر قد اثار هلاله * فالآن فاعذ الى المدام وبكر
 وانظر اليه كزورق من فضة * قد اتقلته حمولة من عنبر
 وقول الآخر

يا من بغرته الهلال ما ترى * بدر الهلال وقد بدا في المشرق
 كظريفة نظرت الى عشاها * فتغبت خجلاً بكم ازرق
 وقول الآخر

وكؤوس دارت عليها بليل * تحت سقف مرصع بالبحرين
 وكأنت الهلال مرآة تدر * تنجلي كل ليلة اصبعين
 وقول الآخر

هلال سوال ما زالت مطالعه * يرنو اليها الوري من شدة الفرح
 كأصبع من نديم قد اشار الى * ساق لطيف يروم الاخذ للقدح
 وقول الآخر

ان هلال القطر لما بدا * مستحسناً في اعين الناس
 وددت ان التمه عندما * راح يحاكي شفة الكاس

وقول ابن المعتز

زارني والدجا اسم الحواشي * والتريا في القرب كالعنقود
وهلال السماء طوق عروس * بات يحلى لي في غلائل سود
وقد اورد الادباء أكثر من سبعين تشبيها للهِلال باذا القيل والقال
ثم انك تزعم ان العرب قالت الشتاء ذكر والصيف انثى لا بلغك الله الارب
ما اجهلك بلغة العرب ما انت الا جارف سيل وحاطب ليل لانه يتضمن
التشنيع عليك فالدم يهدي منك اليك والمدح يهدي الي منك وهو حجة
عليك لاللك لان هذا من باب التشبيه والمبالغة اي ان الصيف كالانثى
بجامع اللين والرحمة البالغة وذلك كما يقال ولا تشبها الله ارحم من الوالدة
بولدها وكانك نسبت ما قيل ببرد الصبوز التي على البلاء تحوز ويقال انها
سبعة ايام نظمها بعضهم بقوله

كسع الشتاء بسعة غير * بالمن والصنبر والوبر
وبأمر واخيه مؤتمر * ومعلل وعطفي الجمر

اخبرني اي يوم فيك محمد اهو اليوم الاحص الورد المصفي الذي
يصفو بشماله وتحمر آفاقه 'والأزب الهلوف الذي تهب بنكبائه ويكثر
جهامه وقتامه ولسان الحال يقول

قد اخصر الوجه حتى لو جعلت ضحى * نار تأجج فوق الوجه ما احترقا
فقوهم بك ذكر مع المقابل الذي ذكر وصف بالشدة والقسوة
والحدة كيف لا واذا جئت عجم الناس عجيجا وخبجوا خبيجا ونووها باسم
من وامسى فيه وآوى واوقد نوبرة وبذل طعما قال الشاعر

قفانبك من ذكرى قيص وسروال * ودراعة لي قد عفا رسمها البالي
ولا سيما والبرد واقى بریده * وحالي على ما اعتدت من عسره حالي

وقول الآخر

ان فصل الشتاء منذ نحاجسعي * أبدت يانه الاعضاء

فيه يحمي غربي اذ عز * الكسا فيه وحتى الغراء

قال البدر الساري الشيخ عبد الحفيظ القاري

جاء الشتاء الذي مازلت ابغضه * في كل حال من الاحوال في زمي
البرد فيه قوي كالحوبه الاحزان * تكثر والامراض في البدن
الم فيه كثير والرفاق غدوا * والانس ادير والاقبال في الحزن
شبهته بعذاب قد اتى وبه * حبس ونار عسى الرحمن يرحمني
فالدم يجري دواما من يدي ومن * رجلاي يارب كثر اللبس امرضني
فانت عذاب وبلاء وعقاب ولأواء يغلظ فيه الهواء ويستحجر له الماء
وتكثر الانداء وتنحجر الفقراء ويتساقط ورق الشجر ويموت أكثر النبات
والزهر وتضعف قوى الابدان ويظلم الجو ويكلم وجه الارض ويهرم وجه
الزمان وتصير الدنيا كأنها عجوز هزلة قد دنا منها الموت وآن وما ظنك
بما يزوي الوجوه ويهش العينين ويسيل الانوف ويغير الالوان ويقشف
الابدان ويميت كثيرا من الحيوان فكم فيه من يوم ارضه كالقوارير
اللامعة وهو اوه كالزنابير اللاسعة وليل يحول بين الكلب وهريره والاسد
وزنيره والطير وصفيره والماء وخريره قال الشاعر

قد منع الماء من انس * وامكن الجو من الجس

وقال الآخر

وتشاء يخنق النكد * ب فلا يعلو هريره

كلما رام هريرا * زم فاه زمهريره

وهو مأخوذ من قول الآخر

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة * حتى يلف على خيشومه الذبا
قال الرشيد ما ابلغ يت في شدة البرد فانشد هذا البيت بعضهم
فقال ابلغ منه

ويلة نحس بصطلي القوس ربه * واسهمه اللاقي بها يتنبل

فقال حسبك ما بعد هذا شيء قيل لاعرابي ما اشد البرد قال اذا
اصيحت الارض ندية والسماء تقية والريح شامية . وقيل لآخر فقال اذا
دمعت العينان وقطر المخزان وتلجلج اللسان . وقال الاخر برد يغير الالوان
وينشف الابدان ويجمد الريق في الاشداق والدمع في الاماق وقال
آخر يوم جمد خمره وخمد جمره بثقل فيه الخفيف اذا هم ويخف الثقيل
اذا هجر نحن فيه بين اطباق البرد ورجم البرد فما نستغيث الا بجر الراح
وسورة الاقداح . ووجد اعرابي البرد فليل له هذا لكون الشمس في العقرب
فقال لعن الله العقرب فانها مؤذية في الارض كانت ام في السماء وقال
ابن سمعون : البرد بالري رافضي يقول بالرجعة اي متى ذهب رجع وقيل
لاعرابي يرتعد في يوم شات تحول الى الشمس فقال الشمس تحتاج اليوم
الى قطيفة قال الشاعر

يوم برد بدت نفسه * فحتمش الاوجه من قرصها
يوم تود الشمس من برده * لوجرت النار الى قرصها
وقال الشاعر

يوم من الزمهرير مقرر * عليه توب الصباء مزرور
كأنما حتر جوه ابر * وارضنا فرشها قوارير
وشمس حرة مخدرة * ليس لها من ضيائها نور
وقال آخر

جاء الشتاء ومناقر * واصابنا في عيتنا ضر
ضر وفقر نحن بينهما * هذا لعمر ابيكم الشر
حبست الناس في البيوت عن الاسباب ونيل الاوطار والاكتساب
وخذلتهم عن الصلاة والعبادة واقامة الجمعة والجماعة
وقال الشاعر

اقبلت يا يوم ببرد اجرد * تفعل بالاجوه فعل انبرد

أظلم في البيت كمثل المقعد * منقبضاً تحت الكساء الأسود
لو قيل لي أنت أمير البلد * فهات للبيعة كف تعقد
لكنك كالأقطع لم أخرج يدي

وقال الآخر

وليلة نزل البرد البلاد بها * كالقلب أشعر بأسا فهو مثاوج
فان بسطت يداً لم تنبسطت حصراً * وابث نقل فبقول فيه تشييع
فنحن فيها ولم نخرس ذووا خرس * ونحن فيها ولم نفلج مفاليج

وقال الآخر

شتاء تقلص الاشدق منه * ويرد يجعل الولدان شيبا
وارض تزلق الاقدام فيها * فما نمشي بها الا ديبا
قيل لاعرابي في الشتاء 'ما تصلي قال البرد شديد وما علي' كسوة
اصلي فيها وقال

ان بكسني ربي فيصا وريطة * اصلي واعبده الى آخر الدهر
وان لم يكن الا بقايا عبادة * مخرقة مالي على البرد من صبر
وقال الآخر نحن في الشتاء بين لثق وزلق ودمق : وقال الآخر
نحن في شتوتنا في قلق * وتمادى شفق في فرق
ليس يخلو يومنا والليل من * لثق او زلق او دمع
هبّت ريح شديدة فقليل قامت القيامة فقال زبدة المخنت هذه قيامة
على الربق بلا خروج الدجال ولا دابة الارض ولا طلوع المهدي فلما
فرغ من كلامه صار الشتاء اصرد من عين الحرياء والعنز الجرياء ثم قام وقعد
وانشد وردد وارعد

لو لم تكن لي في القلوب مهابة * لم يطعن الاعداء في' ويقدح
كالليث لما هيب حطله الزبي * وعوت لهيته الكلاب النبح
يرمونني شزر العيون لانني * غأست في طلب العلا ونصيحوا

وقد اجبتك عن بعض ذلك وذكرت ثناء الفضلاء على ما هنالك
ولولا خوف الاطالة في هذه المسالك لفصلت الرد ونورت الحالك وعلى
سبيل الفرض والتنازل للقائل فيختفر ذلك في جنب فضلي الشامل ان
الحسنات يذهبن السيئات ورحم الله من قال ووجد في المقال
ما كان احوج ذا الكمال الى * عيب يوقيه من العيب
ولقد اجاد القائل بما هو الفصل الفاصل

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا ان تعد معائبه
وانما المصيبة العظمى المعائب التي لا تحصى ومن كله عيب في الاسم
والمسمى وهو يتخبط كالاعمى ومن سارت في ذمه الرسائل من كل غني
وسائل فقد كتب بعض الكتاب الى رفيقه كيف لي بالحركة وقد قوى
سلطان الحر وفرش بساط الجمر لاسيما وفيه الهاجرة التي هي كقلب المسجور
والتنور المسجور وكتب بعضهم اتعل كل شيء ظله وقام قائم الهاجرة
ورمت الشمس بجمرات الظهيرة وكتب اخر لامرحبا بالصيف من
ضيف فهو عون على الحيات والعقارب وام الدباب والخنافس وضرب البق
الذي هو آفة الخلق ثم قال فيه

من كل سائلة الخرطوم طاغية * لا يحجب انسجف مسراها ولا الكل
طافوا علينا وحر الصيف بطيخنا * حتى اذا انصبت اجسامنا اكلوا
وقد قال بعضهم حر الصيف كحد السيف وقال بعضهم حر يشبه
قلب الصب ويذيب دماغ الضب وسئل بعضهم كيف كانت الهوا
البارحة قال مات ولم يكن له نفس وقال آخر سدت الرياح فانسدت طرق
الارواح وقال الشاعر

قد اقبل الصيف وولى الشتا * وعن قليل سام الحرا
اما ترى البان باغصانه * قد قلب الفرو الى را

ولله در القائل

قد هجم الصيف وولى الشتاء * منهزماً تبيع آثاره
مبتدعاً يسلب اثوابنا * ويخرج المالك من داره
وقال اخر

حرٌّ وجدرٌ وحرٌّ صدى وحرٌّ * اي شيء يكون من ذا امرٌ
قال الآخر

ويوم كان المصطلين بجره * وان لم يكن جمر فعود على الحجر
فلما فرغ من مقاله وقام يجر جر في اذباله قال له الصيف رويداً ومهلاً
فانك لن تحرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا فجميع ما ذكرته من
الاكاذيب المزخرفة والافاويل المزيفة اما سمعت ما قاله الاعرابي حين قيل
له ما تصنع بالبادية اذا انتصف النهار وانتعل كل شيء ظله فقال وهل
العيش الا ذلك يمشي احدنا ميلا فيرفض عرقا كأنه الجمان ثم ينصب عصاه
ويلقي عليها كساءه وتقبل عليه الرياح من كل جانب . ايا هذا اسمع مني كلاما
جزلا وقولا فصلاً ودعنا من تلك المبالغة والمجازفة واعرض جواهره على
الصيارفة وذوى النظر والعرفان وعند الامتحان بكرم المرء اويهان
من نحلى بغير ما هو فيه * فضمته شواهد الامتحان
وجرى في العبد جري سكيت * خلفته الجياد يوم الرهات
فها انا اقول هذه القضايا المسئلة البرهان التي قد سارت بها الركبان
انا الصيف خفيف المؤنة جليل المعونة كثير المنفعة قليل المضرة عظيم
المبرة ابر الحب والراحين وام بنات البساتين وراحة الفقراء والمساكين
وستر الضعفاء وانتخمين والعون على عبادة رب العالمين طبع التسباب
الذي هو باكورة الحياة بلا ارتياب كما ان الشتاء طبعه طبع الهرم الذي
هو باكورة العدم فانه كما قال الحبيب ابن حبيب نصرت بالصبا . واوتيت
حكمة في زمن الصبا . في نضح الجادة ونضح من الفواكه المادة ويزهو

البسر والرطب وينصلح مزاج العنب وبقوى قلب اللوز وبلين عطف
التين والموز ويتعقد حب الرمان فيجمع الصفرا ويسكن الخفقان وتخضب
وجنات التفاح ويذهب عرف السفرجل مع هبوب الرياح وتسود عيون
الزيتون وتخلق تيجان التارنج والليمون مواعيدي مفقودة وموائدي ممدودة
الخير موجود في مقامي والرزق مقسوم في ايامي الفقير ينصاع بملء مده
وصاعه والغنى يرنح في ربيع ملكه واقطاعه والوحش تأتي زرافات ووحدانا
والطير تغدو خماسا وتروح بطانا

مصيف له ظل مديد على الوري * ومن حلا طعما وحلل اخلاطا
يعالج انواع الفواكه مبديا * لصحتها حفظا يعجز بقراطا
وبكفني فخرا ان زمن صباي هو الربيع صاحب المزايا
والمقام الرفيع قال بعض الحكماء هواء الربيع مورك فتلقوه وهواء الشتاء
محرق فتوقوه فعله في اجسادكم كفضله في اشجاركم وقال بقراط الحكيم من
لم يبتعج بالربيع وازهاره ولم يستمتع ببرد نسيمه فهو فاسد المزاج محتاج
الى العلاج قيل والعود واوتاره وكان المأمون يقول اغلف الناس طبعا من
لم يكن في زمن الربيع ذا صهوة ولله در ابن المعتز حيث قال الارض في
زمن الربيع عروس مخنالة في حلل الازهار متوجة باكاليل الاشجار متوشحة
بمناطق الانهار والجو خاطب لها قد جعل يشيل بخصره البرق ويتكلم
بلسان الدمع وينثر من القطر ابداع نتاري وتغني الاطياف ويتدو الهزار
وترقص الغصون وتصفق المياه وتغمر العيون وبصطف الليل والنهار
وطائر الفرح بينهما قد طار وخمكت الارض وابتم الألقوان واحمرت
خدود الارض واهتز عطف البان واخضر عجا عذار الريحان وثبه
طرف النرجس الوسنان قال الشاعر

ما الدهر الا الربيع المستدير ذا * اتى الربيع اتاك التور والنور
فالارض ميروزج والجو لؤلؤة * والروض ياقوتة والمساء بلور

وقال الآخر

ان هذا الربيع شيء عجيب * تضحك الارض من بكاء السماء
ذهب حيثما ذهبنا ودرث * حيث درنا وفضة في الفضاء

وقال الشاعر

سألت الفصن لم تعرى شتاء * وتبدو في المصيف وانت كامي
فقال لي الربيع على قدومه * خلعت على البشير به لباسي

وقال الآخر

لما زها زهر الربيع بروضة * وغداله فضل يبين عليه
قام الحمام له خطيبا بالثنا * وجرى الغدير نغرا بين يديه
فلما سمع كلامه الشتاء التمد مصوتا

واصعب ما حاولت تنقيف اعوج * واصعب شيء جاهل متعائل
هذه قضايا فاسدة القياس واهية الاساس 'ما سمعت ما هو كالمثل
ان السم في داء العسل ولكن خذ مني وحدت عني فان محاسني كثيرة
وفضائلي شهيرة طول الليل الذي جعله الله سكنا ولباسا للانام وبرد الماء
الذي هو مادة الحياة والقوام وانقطع اندياب والبعوض وعدم ذوات
'محموم من الهوم وانا حبيب الملوك العظام واليف المتنعمين الكرام يطيب
لهم في زماني الاكل والشرب ويجتمع فيه شمل الاحباب ومن ليس له
بي طاقة اغلق من دونه الباب ويسخن خوف ويطيب العناق ويتمتع فيه
بالملايس والفرش في جميع الافاق ولذلك ضرب مثل تخريم الناعة وهو
خريم ابن عمرو بن مرة بن عوف قيل له الذعم لانه كان يلبس الخلق في
الصيف والجديد في زماني الذي هو هو الصيف في يظهر فضل الغنى وانا
زمان الراحة والهنا كما ان الصيف زمان كد والعناء ولذلك قالوا من لم
يغل دماغه صائفا لم تغل قدوره سائفا كما قيل

وان الذي لم يغل صيفا دماغه * وجدته لا تغلى شتاء قدوره

كذلك مقسوم المعاش في الوري * بسعي ورعي تستبين اموره
واني مع ذلك كما قال الحبيب ابن حبيب ايامي وجيزة واوقاتي عزيزة
ومجالسي معمورة بذوي السيادة مغمورة بالخير والمير والسعادة نقلها يأتي
من انواعه بالعجب ومناقلها تسمح بذهب الذهب وراحها تنعش الارواح
وسقاتها يجفونهم السقيمة تفتن العقول الصالح ان اردتها وجدت مالا
ممدودا وان زرتها شاهدت لها بنين شهودا

واذا رميت بفضل كاسك في الهوى * عادت عليك من العقيق عقودا
يا صاحب العودين لانهم يلما * حرك لنا عودا وحررق عودا
تم انك يا هذا تفتخر بربيعك الذي هو غرس يدي وسور كاسي
واتري من بعدي كما قال الشاعر

تركت مقدمة المصيف حميدة * ويد الشتاء جديدة لانكفر
لولا الذي غرس الشتاء بكفه * قاسى المصيف هتائما لاثمر
ولذلك ينسب اليه فيقال البرد المستطاب برد الورد وهو برد الربيع
الذي تفتخر به ايها الوضع فحق لي حينئذ ان افتخر بالحريف ذي المقام الشريف
فانه مقدمة جيشي وايام كهولتي ولذة عيشي في ايامه تجنى التمار وتلوث
ورق الاشجار وتصفو المياه والانهار

قال الشاعر

جاء الحريف وعندي من حوائجه * ستمع من قوام السمع والبصر
موز ومز ومحبوب ومائدة * ومسمع ومدام طيب ومري (١)
فلما سمع كلامه الصيف انشد وقد قوي عزمه واشتد

(١) قال داود في التذكرة مري من الادوية القديمة التي استخرجها
الكلدانيون والقيط واجوده اتخذ من دقيق الشعير والفوتنج البرسي
المعمول صيفا واطال في منافعه . اه ابو بكر

ومن البلية عذل من لا يرعوي * عن غيه وخطاب من لا يفهم
بكر هذا الرجل كلامه ويموء مرامه وقد رددت عليه ذلك والجثته
الى اضيق المسالك يفتخر هذا الخروف بالخريف لقد خرف وبالع في
التخريف يقابل الخريف بالربيع يساوي بين الرفيع والوضيع والخرف واللجين
والعسجد والنحاس ما هذا الا افتراء ومين ظاهر لجميع الناس وقد قيل ان
برد الربيع موني وبرد الخريف موني وهو كطبيع الموت في البرودة واليبس
يسرع هواؤه في الجسد ويؤذي النفس قال بعضهم

لا يمكن الناس انقاء شره * من اختلاف برده وحره
تبصره مثل الصبي الارعن * في كثرة التغيير والتلون
وقال الآخر

لانا من فصل الخريف فانه * مستعذب وهواؤه خطاف
يسري من الارواح في اجنادها * بلطافة ومن اللطيف يخاف
وقال الآخر

ولي صاحب كهواء الخريف * مضر وان كان يستعذب
له منطق كليالي الشتاء * طويل على برده مسهب
بذلت له خلُقًا كالربيع * يطيب ومخبره اطيب
وان كان قلبي به كالمصيف * سموم الهموم به تلهب

وها انا ازيد به بعض احاديث وردت في ذمه عن ابن عباس يرفعه
ان الملائكة لتفرح بذهاب الشتاء رحمة للمساكين وكان صلى الله عليه وسلم
يتعوذ من كلب الشتاء وقد روي انقوا البرد فانه قتل اخاكم ابا الدرداء
وقال بعض السلف الشتاء عدو الدين وهلاك المسلمين . فقال الشتاء وهو
ملتبس برده سبحانه الله وبمحمد يهذي هذا الرجل ولا بدري ولا بدري
انه لا بدري قد عمل بقول القائل وتلقى عنه تلك المسائل

ان شئت تدعى فقيه قوم * فطوّل الكرم ثم عظم
 وخذ من الثوب طيلسانا * واعقده فوق كيك واختم
 واجلس مع القوم في جدال * لا بالبخاري ولا بمسلم
 بهز عطف وتفض كم * وقول لا لا ولا اسلم
 ثيابهم بيضت رياء * وقلوبهم بالسواد مظلم
 ان وجدوا الوقف يا كلوه * مالوا عن العلم والمعلم
 يا قي بالحديث ولا بعزبه الى راويه ولا الى واحد من الكتب المعتمدة
 في مجاريه وحديث انقوا البرد قال السخاوي فيه لا اعرفه فان كان واردا
 فيحتاج الى تأويل فان ابا الدرداء عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم
 دهرا . انتهى ولقصر بابه وعدم اطلاعه جهل قوله صلى الله عليه وسلم
 الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه وقوله الصوم في
 الشتاء الغنيمة الباردة وقوله مرحباً بالشتاء فيه تنزل الرحمة اما ليله فطويل
 للقاء واما نهاره فقصر للصائم وعن قتادة قال لم ينزل عذاب قط من السماء
 على قوم الا عند انسلاخ الشتاء ويكفي ما جاء في حقك من الدم قوله
 صلى الله عليه وسلم ابردوا بالظهر فان شدة الحر من فيج جهنم . فقام الصيف
 معبسا وقال سمعنا لك ونعسا ما هذا التوبيه فيما ترويه تنهي عن الشيء وتأنيه
 ثم انشد

يا ايها الرجل لم آس غيري * هلا لنفسك كان ذا التعليم
 ابداً بنفسك فانها عن غيري * فاذا انتهت عنه فانت حكيم
 لانه عن خلق وتأني مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم
 اما الحديث الذي اوردته في ذمي فقد ورد نظيره فيك كذلك مما
 يمكن حمله على المجاز في هاتيك المسالك واما الاحاديث التي اوردتها في
 مدحك فمبني على مقال ولم تبلغ درجة الصحة التي يصح بها الاستدلال ولو
 اردت ان اذكر مثالا في حقي لطال المجال وما كل ما يعلم يقال وقد

حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء . فقال الشتاء لعلك تعني قوله صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام هكذا ذكره أبو الوليد الأزرقى في تاريخ مكة بغير اسناد ثم الرمحشري في آل عمران من تفسيره وأورده الدبلي من حديث انس بلفظ تباعدت عنه جهنم مائة عام وثقريت منه الجنة مائة عام فقام الصيف مغضباً وقال وأحرباه وأحر قلباه ممن قلبه شيم دع عنك هذا الاستهزاء وضباع الوقت سدى وملء الصحيفة بذكر الأحاديث الضعيفة ان اردت المناظرة والجدال بشروطها المعنوية عند الرجال فأخرج الى هذا الميدان في هذا المجال وأنا اسمعك من المقال ما هو اشد من وقع النبال وصنع النعال فشمر الشتاء ورفع الأذيال وسار ذات اليمين وذات الشمال وزبحر وسطا وصال وزر زئير الاسد في القتال فكثر اللفظ وكبر الشطط وطال النزال والنزاع وتزايد المقال والدفاع وعلت اصواتهما وارتفعت وارتجت الارض تحتهما وتزعزعت

قال الراوي والرائي للحاسن والمساوي فقامت اليهما واجاستهما وهونت عليهما وقلت لهما اسمعا هداكما ربكما ما فيه تفعلكما هل لكما في الرشدا والفلاح والنصر والنجاح قال اذاك المطلب والغرض والمأرب فقلت لهما اتركوا المراء والجدال والقييل والقال فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتاً في اعلى الجنة ومن تركه وهو مبطل بنى الله له بيتاً في ريعن الجنة وقال ماضل قوم بعد هدى الا واوتوا الجدل وقال ان ابغض الرجال الى الله تعالى الخصم الالذ وقال تعالى بل هم قوم خصمون وقال وكان الانسان اكثر شيء جدلاً وقال تعالى ولا جدال في الحج فقالا نعم اذاك الجدال بالباطل والمودي الى القتاتل والناشيء عن الغرض الفاسد وسوء المقاصد اما اذا كان الجدال بالحق والمقصد حسناً واتخذ المجادل طريقاً مستحسنًا فانه يكون منعياً فقد قال

تعالى وجادلهم بالتى هي احسن . ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هي اسن
ولولا الجدال لقال من شاء بما شاء فى كل حال اما سمعت قول عالم المدينة
الذى ضربت اليه اكباد الابل بلا شك كل واحد يؤخذ من قوله ويترك
الا صاحب هذا القبر الانم صلى الله عليه وسلم وقول الامام علي كرم
الله وجهه اعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال وقوله

ولست بامعة فى الرجال * اسائل هذا وذا ما الخبر

فقلت لها انكما قد خرجتما الى الفخر والتفاخر واخيلاء والشم والسخرية
والاستهزاء وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بن اتقى وقال ان الله
لا يحب من كان مختالا فخورا وقال لا يسخر قوم من قوم وقال صلى الله
عليه وسلم من ستر مسلما ستره الله يوم القيمة وحسبك هذا التعنيف واللوم
وكفا كما ردعا وزجرا وحق لكما الندامة ثم انشدتهما قول القائل المرشد الكامل

لا بد للكامل من ذلة * تخبره أن ليس بالكامل

بيننا يرى بضحك من جاهل * حتى يرى مضحكة الجاهل

فقالا نستغفر الله مما فرطنا لفرط الغضب وبيع الله اول راي عنده
انتصب ولا عدنا ناصحا عاقلا وحكما حكيما عادلا وما جرى منا ما جرى
الا على قصد امرين بلا مراء الاول التحدث بنعمة الله بين الوردى وكفى
بذلك حمدا وشكرا قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث وقد جمع بعض
العلماء ترجمته ومزاياه على سبيل التحدث وليقتدي الخلف باثار السلف
والثاني احقاق الحق وابطال الباطل وكشف حال الملبس العاقل وبيان
الدعي بين الافاضل كما هو الواجب على المفاضل المناضل قال فى الوهبانية
من كتب السادة الخنفية

من الدين هتك الستور عن كل كاذب * وعن مدع ما ليس فيه ويشهر

وقال بعض الفضلاء

القدح ليس بعيبة فى ستة * متظلم ومعرف وتعذر

ولظهر فسقا ومستفت ومن * طلب الاطاعة في ازالة منكر
واما احاديث من ستر مسلما ستره الله يوم القيمة فقال الوزير ابن
هبيرة الحنبلي في شرحه المراد به الستر على ذوي الهبئات ونحوهم ممن ليس
معروفاً بالاذى والفساد واما المعروف بذلك فيستحب ان لا يستر عليه
بل ترفع قصته للوالي ان لم يخف من ذلك مفسدة لان الستر على هذا
يطمعه في الابداء والفساد وانتهاك الحرمات وجسارة غيره على مثل فعله
وهذا كله في ستر معصية وقعت واتقضت واما معصية رآه عليها وهو بعد
متمسك بها فحب المبادرة بانكارها ومنعه منها على من قدر عليه ولا يحل
تاخيرها وان عجز لزمه رفعها لوالي الامر اذا لم يترتب على ذلك مفسدة
واما جرح الرواة والشهود اثناء الصدقات والاقوات والايام ونحوهم فيجب
جرحهم عند الحاجة ولا يحل الستر عليهم اذا رآى منهم ما يقدر في
اهليتهم وليس هذا من الغيبة المحرمة بل من النصيح الواجب وهذا يجمع
عليه انتهى . ثم قال لا نريد ان تحكم بيننا وتجمع ذات بيننا . فقلت لها
انتما عندي كفرسي رهان وقد حزتما المظمار في حلبة البيان ولست احكم
بينكما بتقديم واحد منكما وكلامكمافي بعضكما غير مقبول فان كلام الاقران
بعضهم في بعض لا يعتبر عند الفحول وداء المعاصرة داء عضال ورحم الله
من قال

قل لمن لا يرى المعاصر شيئا * ويرى الاوائل التقديما
ان ذاك القديم كان حديثا * وسبق هذا الحديث قديما
ولقد اجاد القائل

اولع الناس بامتداح القديم * وبذم الحديث غير الذميم
ليس الا لانهم حسدوا الحيد * بي ورفوا على العظام الرميم
قال الحافظ الذهبي مانصه : كلام الاقران في بعضهم بعضا لا يعبا
به ولا سيما اذا لاح لك انه لعداوة اولمذهب او لخصم لا ينبجو منه الا

من عصمه الله . ما علمت ان عصرا من الاعصار سلم اهله من ذلك سوى
 الانبياء عليهم السلام والصدّيقين فلو شئت لسردت من ذلك كرا ريس
 انتهى . فقالا لانسلم ان كلام الاقران في بعضهم بعضا لا يعبا به علي اطلاقه
 وعمومه فانتبه فانه لا يعرف حال الرجل الا من عاصره ولا يعرف حاله
 من بعده الا من اخبار من قارنه واهل العلم هم الذين يعرفون امثالهم
 ولا يعرف ذوي الفضل الا ذو الفضل فينبغي اناطة ذلك بمن علم ان
 بينهما تنافسا وتحاسدا فيكون ذلك سببا أكيدا لعدم قبول كلام بعضهم
 في بعض لالكونه من الاقران والمعاصرين في الزمان فانه لا يعرف عدالته
 ولا جرحه الا من اقرانه اهل فته وزمانه فقول الذهبي ولا سيما اذا لاح
 لك انه لعداوة او لمذهب او لحسدهم الذي ينبغي ان يناط به القبول والرد

قال الراوي فادهتني تقريرها وعظم علي امرها وخفت من الدخول
 في الحكم بينهما والتعرض لها علما بان الحكم لا يرضى الخصمين ولا يجمع
 ذات البين ورحم الله القائل

ان نصف الناس اعداء لمن * ولي الاحكام هذا ان عدل
 وعلما باني است اهلا لذلك . لا السير في هاتيك المسالك فلا تحفى
 صعوبة امر الجرح والتعديل واقامة البرهان على التفضيل والترجيح على
 التفصيل مع نقض ما اورده كل منهما من دليل وقال وقيل مما يحير
 عقل النبيل فرايت المخلص من هذا السبيل ان قلت لها هل ادلكما
 علي حكم عادل وحكيم فاضل يحكم بينكما بالحق ولا يشطط لا يفرط ولا
 يفرط ففرحا وقال جميعا من هو لازلت رفيعا فقلت ذاك عين الاعيان
 وزين الزمان رجل الدنيا وصاحب الهمة العليا رب المروءة والوفا والشهامة
 والصفاء طرفة الطوائف كريم الشماثل كعبة الطائف في حرم الفضائل
 زينة الحجاز وتهامة حضرة مولانا العلامة الشيخ عبد الحفيظ القاري

لا زالت نسخة شمائله عمدة القاري

لأنسال الله الا ان يدوم لنا * لان تزيد معاليه فقد كملت
فقالا هل تحفظ شيئاً من شعره يدل على جلالة قدره فقلت لهما
عندي منه شيء كثير ومن ذلك قوله مديلاً على بيت الشريف عبود
بطلب امير مكة المرحوم سيدنا الشريف عبد الله بن عون رحمه الله

خطرت تيمس وتنثني * ما بين شبرة والعقيق
هيفاء در شفاها * في وسط حق من عقيق
في روضة ازهارها * وردٌ وآسٌ مع شقيق
تحكي بها وجناتها * ما في الملاح لها شقيق
الفن منها يحنني * في ظل تفاح وريق
كل المنا في ثغرها * شهد وعناب وريق
السيف من الحاظها * والريح من قد رسيق
ترمي لواحف سهمها * فتصيب في قلب رسيق
فالردف تحت الخصر يا * حي ثقل في رقيق
والغانيات جعلنني * رفا وما كنت رقيق

ومن ذلك قوله بتشطيري له بطلبه

خطرت فصيرت افواد رهيناً * وبدت فصيرت العيون عيونا
وسطت بمنجبر لحظها وقوامها * ورت فابدت من هواي كينا
حورية ابدى تبسمها لنا * دررا وباقوتا وخر سنيها
سمطين من درر الشبا باظمت * عقدا تحكم في النظام ثينا
اخفت سناشمس الفضي بغدادا * سدت كليل قد تطاول فينا
شمس تعيب ليلها في صبحها * والفرق امسى البدر منه دينا
لو ان يوسف قد راى اوصافها * اخفى حفيظ ودادها وامينا

لو عاملته بهجرتها وصدودها * امسى بها طول الزمان حزينا
 او ان يعقوبا رآها مرة * لحت محبة يوسف وبنينا
 لو اسعفته بوصلها ورضاها * زال العمى عنه وكف حزينا
 ولا نظم ادب الحجاز ذو الفضل الممتاز الشيخ عثمان الراضي
 المعنى القديم الفارسي بقوله

لا تعجبوا ان احرقتم محبتي * من نظرة غيبت الحسا
 فانما عيني بلورة * قد قابلت من وجهها الشمس
 قال ذاك المفضل

ياسائلي عن لهيب القاب كيف اتى * والقلب في شبح الاضلاع قد حجا
 فقلت صدرى كبور ينم على * قلبي فقابل شمس الخلد فالتها
 فرقصا من ذلك وطربا وكانما خمرة شربا وقالوا نقديه بنفوسنا ونجعل
 حكمه ناج رؤسنا فآين مقره وماواه ومرتعته وسكناء فقلت لها الطائف
 المأنوس نزهة النفوس فتأهبا للسير من اقرب طريق ليحظيا بهذا الحكم
 الرفيق وصاحب الطبع الرقيق فقامت لتوديعها والدعاء لها واوصيتهما
 بالتأدب مع جنابه اذا حطا الرحل برحابه ووقفنا ببابه وان يستمسكا بركابه
 وقلت هنا كما الله بصوابه في تقريره وجوابه وجمعنا به

آمين آمين لا ارضى بواحدة * حتى اضيف اليها الف آمينا
 ثم ظهر لي في خلال كلامها . ولاح لي من الاستشهاد بكلامه في
 مقامها . انهما يعرفانه . وقد ترددنا على مكانه . فقلت لها كيف تجهلان
 ذلك المفرد العلم . ومن هو كئار على علم . ففهمكا وقالوا قد استقصينا بحثا
 وسوا لا تلذذا بذكر ذلك الحبيب وهاتيك السجايا وعذوبة حديثه
 وتذكر تلك المزايا

اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

كيف وهو قد اعد في داره لنا حلتين . وضيافة في كلا الرحلتين .
فنحن له كالسمع والبصر . وكالشمس والقمر . لكل واحد منا معه وقت
معلوم . ليس له في غيره هجوم . قال الراوي فانهم الخصام . وانقطع
الكلام . وانصرفا صرف الله قلوبهما . وكفانا شرهما . وقد استيقظت
ولسان الحال بقول . نادماً على ما فرط من الفضول

افرح بالبرد اذا ما انقضى * وفي زمان الحر بالحر
وفي انقضاء البرد والحر لو * عقلت امرى بنقضي عمري
فاستغفر الله مما زلت به القدم . او طغى فيه القلم . واسأله ان
يحسن لنا الختام . وان يغفر عن الآثام . واقدم ذلك هدية الى المشار
اليه اعلاه . وانشده ادام الباري علاه

هدية المرء على قدره * والفضل ان يقبلها السيد
فالعين مع عظم مقدارها * تقبل ما يهدي لها المروء
وقول الآخر

ان تمام السرور للمرء ان * باكل من طيبات غرس يده
وان يغني بشعره ولي * خدمته من يحب من ولده

❖ خاتمة ❖

(في مدح الشيء وذمه)

لا يخفى ان الكمال لله ذي الجلال وفي كل شيء ما يمدح ويندم لان
المصلحة في ابتداء امر الدنيا الى انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر والضرر
بالنافع والمكروه بالمحسوب ولو كان الشر صرفاً هلك الخلق ولو كان الخير محضاً
سقطت المحنة ونقطعت اسباب الفكرة ومتى بطل التحير وذهب التمييز لم
يكن صبر على مكروه ولا شكر على محبوب ولا تعامل في بيان ولا تنافس
في درجة كما افاده بعضهم . قال ابو عثمان الجاحظ : العربي يعاف الشيء

ويهجور به غيره فان ابتلي به فخر به ولكنه لا يتفخر به لنفسه من جهة ما هجي به غيره فان الناس يغلطون على العرب ويزعمون انهم يمدحون بالشئ الذي يهجور به وهذا باطل وليس شئ الا وله وجهان فاذا مدحوا ذكروا احسن الوجهين واذا ذموا ذكروا اقبج الوجهين . قال ابن رشيق اكثر ما تجري هذه المادح والمذام على جهة المناقفة لا على جهة المناصفة ومن باب المساتعة لا من باب المشاحة والا فالشئ لا يوافق ضده فيكون الحسن قبيحا في حالة واحدة والمدح ذما لمعنى واحد لكن لكل شئ كما ذكر الجاحظ مساو ومحاسن انتهى . وقد تفتن البلغاء في ذلك فابرزوا المعاني الدقيقة في الالفاظ الرقيقة مما يدل على الذوق السليم والطبع المستقيم ويسمى عند اهل البديع نوع المغايرة والتغاير وسماء بعضهم بالتلطف قالوا هو ان يُلطف الناظم او الناثر في التوصل الى مدح مذموم او ذم ممدوح سواء كان هو الذي ذمه او مدحه من قبل نفسه او غيره وقد اشتملت هذه المسامرة فيه على فصول حجة وانواع مهمة ومن ذلك ما فعل عمرو بن الازهر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استشهد الزبير بن بدر على ما ادعاه من الشرف في قومه قال عمرو اجل يا رسول الله انه مانع حوزته مطاع في انديته شديد العارضة فقال الزبيران : اما والله لقد علم اكثر مما قال ولكن حسدني شرفي فقال عمرو اما وقد قال ما قال فوالله ما علمته الا ضيق العطن زمن المرأة لثيم الخال حديث الغنى فرأى الكراهة في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال يا رسول الله رضيت فقلت احسن ما علمت وغضبت فقلت اقبج ما علمت وما كذبت في الاولى ولقد صدقت في الثانية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة ويروى ان عيسى عليه السلام لم يحب شيئا قط فمر يوما بكلب ميت فقال اصحابه ما اتن ريحه فقال عيسى عليه السلام ما احسن بياض اسنانه وقالت للحسين بن منذر

امرأة كيف سدت وانت ذميم بخيل فقال لاني شديد الرأي شديد
 الافدام . وقال مسلمة بن عبد الملك لاخته هشام كيف تطمع في الخلافة
 وانت بخيل وانت جبان فقال لاني حلیم عفيف فسلم لعائيه ما ادعاه
 من مساويه وذكر من محاسنه ما لم ينازع فيه . صعد خالد بن عبد الله
 القسري منبر مكة يوم الجمعة وهو امير للوليد بن عبد الملك بن مروان فاثني
 على الحجاج خيرا فلما كانت الجمعة الثانية وقد مات الوليد ورد عليه كتاب
 سليمان يامر به بستم الحجاج وذكر عيوبه واظهار البراءة منه فصعد المنبر
 فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان ابليس كان يظهر من طاعة الله عز وجل
 ما كانت الملائكة ترى له به عليهم فضلا وكان الله قد علم من غشه ما خفي
 عن الملائكة فلما اراد الله فضيحه ابتلاه بالسجود لآدم فظهر لهم ما كان يخفيه
 عنهم فلعنوه وان الحجاج كان يظهر من طاعة امير المؤمنين ما كنا نرى له به
 فضلا وكان الله قد اطلع امير المؤمنين من غله وغشه على ما خفي عنا فلما اراد
 فضيحه اجرى ذلك على يد امير المؤمنين فالعنوه لعنه الله ثم نزل . ومر غيلان
 ابن خراشة الضبي مع عبد الله بن عامر بنهر ام عبد الله الذي شق البصرة
 ويعرف بنهر عامر فقال عبد الله ما اصلاح هذا النهر لاهل هذا المصر
 فقال غيلان اجل والله ايها الامير ينعم العوم فيه صبيانهم ويكون
 لسقائهم ولسيل مياههم ويأتيهم بهيرتهم فلما عزل عبد الله وولي زياد
 وكان مولعا برفع اثار عبد الله واراد طم هذا النهر فلم يمكنه لفرط منافع الناس
 له فركب يوما ومعه غيلان على شط ذلك النهر فقال له زياد ما اضر
 هذا النهر لاهل هذا المصر فقال اجل والله ايها الامير تنزمنه دورهم
 وتعرق فيه صبيانهم ويكثر لاجله بعوضهم فعجب الناس من تصرفه
 وكان العباس بن علي عم المنصور ياخذ الكاس بيده ثم يقول اما المال
 فتبلعين واما المروة فتخلعين واما الدين فتفسدين ويسكت ساعة ثم يقول

اما النفس فتسمحين واما اله فتطردين اقترارك عني تفلتين ثم يشربها
 وشكا ابو العيناء حاله الى عبد الله بن سليمان فقال اليس قد كتبنا
 لك الى ابراهيم بن الدبر قال كُتِبَتْ الى رجل قد حصر من همته طول
 الفقر وذل الاسر ومعاناة محن الدهر فاخفت في طلبتي قال انت اخترته
 قال وما علي اعز الله الامير في ذلك قد اختار موسى قومه سبعين
 رجلا وما كان منهم رشيد واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن
 ابي سرح كاتباً فرجع الى اشركين مرتداً واختار علي رضي الله عنه
 ابا موسى حكماً فحكم عليه ونقل ابن معصوم عن الشريف المرتضى
 قال حكى ان ابا النظام جاء به وهو حدث الى الخليل بن احمد ليعلمه
 فقال له الخليل يوماً يمتحنه وفي يده قدح زجاج يا بني صف لي هذه
 الزجاجاة فقال بمدح ام بدم فقال بمدح قال نعم تريك القذى ولا تقبل
 الاذى ولا تستر ماورى قال فذمها قال سريع كسرهما بطي جبرهما
 قال فصاف هذه النخلة واوماً الى محلة في داره قال بمدح ام بدم قال بمدح
 قال هي حار مجنناها باسقى منترها باضر اعلاها قال فذمها قال هي صعبة المرتقى
 بعيدة المجتئى مخفوفة بالادى فقال الخليل يا بني نحن الى التعلم منك
 اخرج قال السيد المرتضى وهذه بلاغة من النظام حسنة لان البلاغة
 هي وصف الشئ ذماً او مدحاً باقصى ما يقال فيه انتهى وقد ذم الامام
 علي كرم الله وجهه الدنيا كغيره فقال ما اصف من دار اولها عناء
 واخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من استغنى فيها فتن
 ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها فائته ومن قعد عنها وائته ومن ابصر بها
 بصيرته ومن ابصر اليها ابصرته اعتمته وقال المامون لو نطقت الدنيا ما وصفت
 نفسها باحسن من قول ابي نواس

وما الناس الا هالك وابن هالك * وذو نسب في الهاكين عريق
 اذا امتحن الدنيا ليب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

ومدحها الامام على رضى الله عنه وقد سمع رجلا يذمها
فقال ايها الزام الدنيا المفتر بغرورها بم تذمها انت المتحرم عليها
ام هي المتجربة عليك متى استهوتك ام متى غرتك ابصارع آياتك من البلاء
ابضاح امهاتك تحت الثرى كم عللت ولدك وكم مرضت والدك
تبغي لم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء لم ينفع احدهم اشفاقك ولم
تسعف عنه بطلبك ولم تدفع عنهم بقوتك قد مثلت لك بهم الدنيا
نفسك وبمصرعهم مصرعك ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار
عاقبة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها
مسجد احباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط وحى الله ومقبر اولياء الله
اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببيتها
ونادت بفراقها ونعت نفسها واهلها فثلث لهم يلائها البلاء وشوقتهم
بسرورها الى السرور راحت بعافية وابتكرت بفعجية ترغيباً وترهيباً وتخويفاً
وتحذيراً فذمها رجال غداة الندامة وحمدها اخرون يوم القيمة ذكروهم
الدنيا فذكروا وحدثتهم فصدقوا ووعظتهم فانعظوا انتهى

وقد نظم ابن ابي الاصبع معاني هذه الخطبة وذكره ابن حجة
قال ابن معصوم ولعبد الله بن المعتز رسالة يمدح فيها الدنيا هذا فيها
حذو هذه الخطبة وابن الثريا من الثرى ومطلع سهيل من مواقع السيل
ثم ذكر شيئاً منها والارض تفاخر السما بما ذكر وللإمام المجلد احمد
ابن حنبل

فنتعت من الدنيا بلقمة بأس * ولبس عباء لا اريد سواها
لا في رايت الدهر ليس بدائم * ودهري وعمرى فانيان كلاهما

وكان رجاء اذا كلمه من لا يسمعه قال له ارفع صوتك فان باذني
بعض ما بروحك وتنسب هذه النادرة الى الناصر الاطروش صاحب طبرستان

وكان من ذكاء القلب وجودة الحس بحيث يفتن بكل ما يكتب بالاصبع
على يده فيكتفي بذلك عن السماع فيجيب عنه ومدح ظريف ابن
سودة عمرو بن هذاب وكان ابرص فلما اتشى الى قوله

ابرص فياض اليدين اكلف * والبرص اندى بالهي واعرف
صاح به الناس وقالوا قطع الله لسانك فقال عمرو مه البرص من
مفاخر العرب اما سمعتم قول ابن حبناء

لا تحسبن يياضي في منقصة * ان اللاميم في اقرانها يلق
او ما سمعتم قول ابن المشتهر

ايشمني زيد بان كنت ابرصا * وكل كريم لا ابا لك ابرص
ولما شاع البرص في بلعاء ابن قيس قيل له ما هذا يا بلعاء قال سيف
الله جلاه وانظر قول اهل المعاني في مجدركس لحة تقرتها الديكة وقول
ابن المعتز فيه ونسبه بعضهم لغيره في مغن جدر

واهيف جدر لما استوى فزاده حسنا فزالت هموم
كانما غنا لشمس الضحى * فنقطته طربا بالنجوم
وقد نظمت المعنى الاول بزيادة فقلت

ومجدركس لحة * قد تقرتها الديكة
او ارقم في شكله * منقط كالسحكة

وقد كان ابن الرومي ممن يخالف الناس ويعكس القياس فيذم
الحسن ويمدح القبيح وهو من غرائب الوجود في ذلك هجا الورد
لانه كان يزكمه من رائحته فقال

وقائل لم هجوت الورد قلت له من شومه عند اقياء ومن سخطه
كانه سرم بغل حين اخرجه * عند البراز وباقي الروث في وسطه
واين هذا التشبيه القبيح من قول الاخر المليح

كانه وجنة الحبيب وقد * نقطها عاشق بدينار

وقد قال فيه بعضهم

للورد عندي محل * لانه لا يمل

كل الرياحين جند * وهو الامير الاجل

ووصف البحري يوم الفراق بالقصر وقد اجمع الناس على طوله فقال

ولقد تأملت الفراق فلم اجد * يوم الفراق على امر بطويل

قصرت مسافته على متزود * منه لو هن صباة وغيل

كذا قاله اهل البديع ثم رايت في الاغاني في الجزء الثاني في اخبار

ابن مياده ما نصه : صوت اى من تعرفه

فلا انسى ما الاشياء لا انس قولها * وادمعها بذرين حشو المكاحل

تتمع بهذا اليوم القصير فانه * رهيب بايام الدهور الاطاول

انتهى فكان البحري اخذه من هذا ثم رايت في عنوان المرفصات

والمطربات نسبة هذا البيتين الاخيرين للرماح بن ازد وهو من المخضرمين

ثم رايتهما في الحماسة منسوبين لابن مياده قال الصفدي والحريري انما

فاق على من سواه بما اتى به في مقاماته من مدح الشيء وذمه كما فعل في المقامة

الدبنارية والتي فاضل فيها بين كتاب الانشا والحساب والتي ذكر فيها البكر

والثيب والزواج والعزبة وغير ذلك وهذا هو البلاغة والقدرة على التلعب

في الكلام وصحة التخييل والذوق انتهى اقول ومم ينظم في سلك هذا النوع

تخاصم ابي الاسود الدثلي مع زوجته عند معاوية وقد ذكرها الشريشي

في شرح المقامات قال واظن ان الحريري صنع تخاصم ابي زيد مع

زوجته على ذلك اه وكذلك مجادلة النعمان بن المنذر مع كسرى في ذم

العرب وهي شحيرة وكذلك مفاضلة الغنى التاكر والفقر الصابر وقد مدح

ابو عثمان الجاحظ انواع العلوم وذمها باعيانها معربا عن قدرته على الكلام

وبعد شاوه في البلاغة والمخاطبة الذهبي رسالة في زغل العلوم وفي الخاطر جمع

رسالة فيما قبل في الكتب ذلك غده بلغ الله عنه الاما قال الصفدي

وقد وضع بعضهم كتاباً في المفاضلة بين الورد والترجس لانت الشعراء
اولعوا بذلك فاطالوا واطابوا والمفاضلة بينهما ممكنة كما صنف الفضلاء
مفاخرة السيف والقلم ومفاخرة الدرهم والدينار ومفاخرة البعل والكرم
ومفاخرة مصر والشام ومفاخرة الشرق والغرب ومفاخرة العرب
والعجم ومفاخرة النظم والنثر ومفاخرة الجوارس والمردان اذ كل
ذلك يمكن فيه الاتيان بالحجة للجانبين واما مفاخرة المسك
والرماد فما للعقل في ذلك مجال وما عسى البليغ ان يقول في الرماد
اذا فاخر المسك . وللمحافظ في ذلك رسالة بدیعة انتهى . قال في كشف
الظنون المفاخرة بين دمشق والقاهرة للسخاوي وللقاضي شمس الدين
محمد بن احمد بساطي المتوفي سنة ٨٤٣ مفاخرة السيف والرمح لعلاء الدين
علي بن محمد السعدي المتوفي سنة ٧١٧ مفاخرة السيف والقلم لابن حفص
احمد بن محمد بن احمد الكاتب الاندلسي وكن حياً بعد سنة ٤٢٠ وهو
اول من سبق اليه القول بالاندلس . مفاخرة العلم والسيف والدينار لعلي
ابن هبة الله بن ماكولا . مفاخرة الحرمين ومفاضلة المحلين للامام نورالدين
علي بن يوسف الزرندى الانصارى مؤلف مختصر مناظرة الشمس والقمر
لماجه مسعود القمي وله مناظرة السيف والقلم . مناظرة اهل السنة والروافض
لابي الحسن يوسف الطفيلي مناظرات في الاصول مناظرات الانسان
انتهى وذكر ايضاً مقامات السيوطي في مفاخرة الرياحين والازهار
وانواع الطيب وبعض الفواكه وانواع النقل وانواع الجواهر وقد رايتها
وكذا مفاخرة الحرمين المذكورة في الكشف في زهرة الجليس وفيها ايضاً
المقامة المسماة مذاكرة ذوى الراحة والعناء في المفاخرة بين الفقر والغنى للسيد
محمد بن علي بن حيدر الموسوي وقال في الكشف زهر الجنان في مناظرة
القنديل والشمعدان رسالة بليغة من انشاء البارح تاج الدين عبد الباقي
ابن عبد الحميد السخاوي ذكرها النويري بتمامها انتهى ورايت مفاخرة السيف

والقلم لجمال الدين بن نباته في خزانة الادب لابن حجة في نوع المغايرة وكذا للشيخ ابن الوردي مفاخرة صغيرة بينهما وكذا مفاخرة النرجس والورد المسماة بالجوهر الفرد لابي الحسن علي بن محمد المارديني خدم بها قاضي القضاة شهاب الدين احمد بن كشك وقد ذكرها سيف في الكشف ايضاً وهي لطيفة ذكرها في نفحة اليمن وكذا ذكر فيها مناظرة النجم والطبيب المسماة منية اللبيب للعلامة الاديب محمد مؤمن ابن الحاج محمد قاسم الجزائري وقد رايت ايضاً مفاخرة الشمس والقمر ومفاخرة الاعمي والبصير وما عرفت مؤلفهما واول الاول الحمد لله الذي اشرق شمس الادب سماء المعاني والبيان الخ واول الثاني الحمد لله الذي نور البصائر بقدرته وفتق عن زهر الادب بمحنته وقد رايت ايضاً مفاخرة السفر والاقامة وهي كاسمها ابهى مقامه لاديب الشام العلامة الهام الشيخ محمد بن محمد المبارك الجزائري وبلغني انه طبع بالشام مفاخرة الارض والسماء وكذا مفاخرة الماء والهواء. ومما الف في هذا النوع كتاب لابن رشيق وكتاب المحاسن والمساوي للشيخ ابراهيم بن محمد البيهقي وكتاب اللطائف والظرائف للثعالبي وكذا كتاب اليواقيت في المواقيت له ايضاً وكتاب المحاسن والاضداد لابي عثمان الجاحظ المتوفي سنة ٢٥٥ كما في الكشف ويقال ان للجاحظ مثالب العرب ولم اره في ترجمته انما ذكر في الاغاني كتاب المثلث لغيره ولا يستبعد ذلك ممن يفاخر بين المسك والرماد والله يقول ختامه مسك والله اعلم * بقول العبد الاقل هذا جهد المقل وزهد المخل مع توزيع القلب في كل محل كما قيل

مشت القلب في شام وفي يمن * وفي الحجاز وفي اطراف بغداد
وليعلم اني لم اصرح باسماء اصحاب الاشعار في هذه المسامرة الا اهل
العصر ليحصل التمييز والتنويه باهل مصر والا عبد الله بن المعتز الخليفة
العباسي طود الفضل الراسي فانه مؤسس البديع وهذه الصناعة وامام

الفن وشيخ الجماعة وكلام الملوك ملوك الكلام وقال المبرد لا يكمل ظرف
الرجل حتى يقرأ بحرف أبي عمرو ويتفقه على مذهب الشافعي ويروي شعر
ابن المعتز وافي أقول كما قال السبيح مرعي الحنبلي
لئن قلّد الناس الأئمة اني * لفي مذهب الخبر بن حنبل راغب
أقلد فتواه واعتق قوله * وللناس فيما يعشون مذاهب

قال ذلك بضمه ورقه بقلمه العبد الحقير أبو بكر بن محمد طارف خوقير
الكتبي بمكة في باب السلام عفى عنه الملك السلام وكان تحرير
ذلك في غاية جمادى الآخرة من عام ألف وثلاثمائة
وسنة عشر من هجرة خير البشر صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب
العالمين آمين



هذه محاكاة الفاضل الاديب العلامة الشيخ عبد الحفيظ القاري

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن خلق الزمان بالصنع البديع . وقسمه الى صيف وخريف
 وشتاء وربيع . واودع في كل فصل حكمه . وجعل في اختلافها صلاحاً
 للزروع ورحمة . وللتنوع الانساني صحة وجم . والاسلاة والسلام على من
 اوضح معاني الاختلاف . ومدح كل فصل بما فيه من المنافع وبين الخلاف
 وعلى آله الذين اشرفت معارفهم على الخلق . وبينوا متهاج الهداية الى
 الى معرفة الحق . واصحابه الذين نشروا الايمان بتوسيع الممالك . ونشروا
 درر العلوم في تلك الامم وامنوا المسالك . والتابعين لافعالهم المهررين
 بتحقيق ما هنالك . وسلم تسليماً كثيراً الى يوم الدين . والحمد رب
 العالمين (اما بعد) فان تحرر هذه المقامة الفريدة . والمفاخرة التي هي بين
 اتراها وحيدة . هو الفاضل الذي شهد الزمان فضله . العالم الذي اقرت
 الاقوان بعلمه ونبله . الذي ان انتاً خضعت لبرغته الاقام . او نظم
 كان عقداً في نحر البحري وابى تمام . وحجل من رقة نظمه القاضي الفاضل
 والنظام واقراً بانسجام لفظه التلعفري وابن بس . حسن ظنه بالعاجز .
 واننى ممن يبارز . وطلب منى فصل الحكومة بين الشتاء والصيف . وهذا
 امر خطر كالوقوف على صراط احد من السيف . ولكن ائتثال امره الكريم
 اوجب حمل العباء الجسيم . وبيننا افكر في امر خطير . وتقديم وتأخير .
 اذ دخل الشتاء والصيف على . ووقفنا بالادب بين يدي . وقوف الخصمين
 الالدين . او الاخرين المتباغضين . وكل لا ينظر الى خصمه الا شزرا .
 ويقول ما اوردت من بحر فضلى الا قطراً . وطلبنا الحكم بينهما بالرفق .

كما اشار عليهما رب اللطافة والحدق . فقابلتهما بالعظيم والاجلال .
 وقلت المحاكاة بينكما في الاستقبال . ولكن اسمعا هذه المقالة مني . وخذا
 هذه النصيحة عني . كيف احكم لاحدكما على الاخر . ولكل منكما مفاخر
 ومنافع للانسان وما أثر . انما في الزمان كالعينين في الراس . وهل يرضى
 بذهاب احدهما احد من الناس . وما اراكما للزمان الا كركبتى البعير .
 التي يتحرك بهما في البروك والمسير . ها انما قد رضعتما در الغمام . ولم
 تقدرا على الفطام عنه ايام . جاء البرد والمطر في ايام الشتاء المنيع .
 وغت الاشجار وظهر النوار باعتدال هواء الربيع . ونضجت الفواكه بحرارة
 الصيف وسمومه . وشرابها من حميمه ويحمومه . وثقلست الثمار من يس
 هواء الخريف . وذوت الرياض وسقطت الاوراق من الريح العنيف واذا
 كانت الفصول لا تعمل مقتضاها . بما اودعه فيها المدير العلام وبراهها .
 لتغير هواء البلاد وما صحت لفساده الاجساد . وما طابت الفواكه
 والمزروعات . وللعنى سبحانه في تنقل الفصول آيات واي آيات
 فالبرد الشديد عند اهل البلاد الباردة فائدة واي فائدة . به تندفع
 الافات عن الاشجار والارض . ويظهر من المزروعات كل شيء غرض .
 ولولا تجدد الثلوج في الديار الرومية وما ضاهاها . لبيست اشجارهم
 وزروعهم ولم تر بارضهم مياها . وعبروا على الثلج بالبركة النازله .
 والرحمة الشاملة . حتى اوردوا فيه مثلاً كافى . الشتاء الدافى كالصديق الجافى
 والصيف عند اهل بلاد الحارة له منافع . اتفقت على حسنه اهل العقول
 والطبائع . به تتم صحة اهل تلك الجهات . وترتفع بشدة الحرارة كثرة
 الرطوبات . وينضج بها شجر الفحل وجميع الثمار . التي لا تنبت الا في تلك
 الديار . وقد قيل الشتاء والصيف كفتا ميزان . اذا فسد احدهما فسد
 الآخر بلا تكران . فكيف يطلب احدكما الفضل على اخيه الذي يوازنه

وبضاهيه . وهو لا يقوم الا بمعاونته . ولا ينتصر الا بمساعدته ولا يفخر
الا بمجاسنه ولا ينفق الا من معادنه * فلما سمعا منى هذه المقالة . وظهر حسنهما
لديهما ظهور الغزاة . رخصنا عن المفاخرة الى الصلح وتركنا بينهما العناد
والشغف فقلت لهما الصلح خير ولا عار فيه على احدهما ولا ضرر فقلت في الحال
مقسماً وخطاها مطيباً ومتمماً

تفاخر الصيف والشتاء * وصار كل له هواء
فالتستاء خير وبر * والبذر والزرع والعطاء
وللصيف الزهور نفير * والانس والنقل والهناء
فاقتربا عن تراض وعن * رصين عفو له صفاء

فلما سمعا هذه الايات قالوا ما ذات مات وانتأت هذه الايات
مادحا المؤلف سلمه الله من الآفات

ايا من رقى اوج العلا بكماله * وفاح لي لجوزاء عطر مقاله
واخفى فجوماً قد حجلن لنظمه * وقلن بلى ما الزهر تزهو كقواله
هو العالم المفضل من حسنت له * لائق لطف جمعت بكماله
له الراية البيضاء في كل محفل * وفي العلم والتعليم جل جماله
حوى كل علم فهو فيه مقدم * ومن رام يحكى فهو كالما وآله
بجزم وعزم نال مجدا ورفعة * ولعجز ان قلنا نجى بمشاله
فله ما ابدى مفاخرة الشتا * لصيف وهل من يقتدى بفعاله
يقدم برهان الشتاء بحكمة * ويعقبه بالصيف كالمثواله
فيظهر مغلوبا ويرجع غالباً * بتجوير اقوال بدت بمجداله
فن كابت خوقير ابو بكر من غدا * اماماً لتأيب وذا من نواله
يقرب بفضل كل من شام علمه * ولولا العدا ضاعت بقايا خصاله
حميد السجابا والمزايا طبيعة * لذا كل من والاه يدري بحاله

انيس خليقي ليس بالنفس مجبياً * صدوق وفيّ في ابتداء ومآله
والحمد لله على التمام والصلاة والسلام على افضل الانام ثم
هذا الصلح والتقرير العبد العاجز الحقير راجي رحمة ربه
الباري عبد الحفيظ بن عثمان القاري غفر الله ذنبه
وسترعيه وفرج كربه امين

صورة تقریظ الادیب الامام العلامة الهام

الشیخ عبد الغني اللبدي النابلسي

الحمد لله الذي اطلع شمس الادب من ديار تهامة فكان ذلك اكبر
آية على فضل اهلها واعظم علامه والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي
كانت تظله الغمامه وعلى اله واصحابه الخائزين قصبات السبق في مصار
الاستقامه اما بعد فقد من الله تعالى عليّ في هذا العام السادس عشر
بعد الثلاثمائة والالف من هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام بزيارة
بيت الله الحرام وتهود المشاعر العظام واجتمعت صاحبنا الاديب والعلامة
الاربب ذي الراي الصائب والفهم الثاقب الفاضل التحرير الشيخ ابي بكر
ابن محمد خوقير القاطن في ربوع هذا البلد الامين والمعدود من اعيان
ادباء وفضلاء ساكنيها المرانين فاطمعي حفظه الله تعالى على هذا التأليف
النفيس الذي اذعن لفضله الرؤس والرئيس في المناحرة بين الشتاء والصيف
بكلام لا تشطط فيه ولا حيف فقد سلك فيه مسلكاً وسطاً مع اني لم اجد
له فيه قرطاً بل هو مؤلف بديع مرصع بالجوهر النفيس اتم ترصيع فمن
تأمله وجد فضله على جانب عظيم من الترجيح غنياً عن الاطناب والاطراء
في مقام المدح فلا يزبه مدح امثالي ولا يشينه قول قالي وبالجمله فهو
كشادن حارت في اوصافه العشاق واشتغلت بالتطلع الى شمائله احداق

الآفاق ولا سيما وقد تحلى جيده بعقد الدر الذي نظمته المحكم الهام العلامة
 اللوذعي الالمعي المقدام ذو القدم الراسخ في جميع العلوم والمقام الشاغل في
 معرفة المنطوق والمفهوم ذي الآداب الشهيرة والفضل الساري الشيخ
 عبد الحفيظ عثمان القاري متعنى الله بحياتهما واعاد علي من بركاتهما
 ورجوان يمنحاني بصالح دعواتهما وان ينفعاني بجميل توجهاتهما فاني لذلك
 فقير وكل منهما بفعل الخير جدير قاله بفمه ورقمه بقلمه الفقير
 اليه تعالى عبد الغنى اللبدي
 النابلسي الحنبلي عفى عنه

صورة تقریظ الفاضل الاديب الكامل الارب الافندي محمد الباز المكي

حمدا لمن اتزل لا يلاف قريش اياهم رحلة الشتاء والصيف وجعل
 لكل منهما سراويل ثقيتا الحر والبرد مع الاطعام من جوع والامن من
 الخوف وصلاة وسلاما على من اوتي جوامع الكلم واشتات الفضائل وعلى
 اله واصحابه وتابعيهم السالك كل منهم منهاج ادا به ولا شبهة فيهم لقائل
 وبعد فلما سرحت الطرف في محاسن روض هذه المقامة وارتويت برق
 رائق معانيها الفيتها لكل نديم مدامة لا بل هي السحر الا انه الحلال
 والماء الا انه الزلال تشهد لحررها الفخرابي بكر خوقير بالفخر وتذعن بان
 ما اتى به فيها هو دمية القصد وبثيمة العصر ما بين مواصيل رائقه ومقاطيع
 فائقة وامثال تضرب للناس الاستثناس وروايات تطرب الأسماع لوقتها
 بلا التباس فاخر فيها بوسع درايته بين الشتاء والصيف وساعد كلا
 منهما على صاحبه الا حيب بالدقة والسيف ولما تلاقيا خصمين بنى بعضهما

على بعض وتناولت اليهما اعناق الناظرين من الطول والعرض وقعا
 بحضرة المولى الجليل ذى الفضل السارى العالم العلامة ذى الغامة والشهامة
 استاذنا الشيخ عبد الحفيظ عثمان القارى واراضياه لها وعليهما حكما وجعله
 كل منهما لراية نصره مقدما سلك اعزه الله في الصلح بينهما جادة العدل
 والانصاف وحقق لكل منهما الفضل على صاحبه بما اوجب له الاعتراف
 بمعان سيارة حدثت عنها القوافي سلاسة ومثانه والفاظ كحب الغمام لا
 يشك العقد المنظوم في انها فاقت جمانه ومنثور كأنه الدر المنثور ومنظوم
 هو اخرى بقلائد النحور فله درهما من جليلين مؤدبين والله نغرها من
 تقيمين مهذبين لا زالت شمس الاداب بمطالع سعادتهما ساطعة وشموس
 توارد المعاني لعزة قوة بلاغتهما خاضعة وزادها الله بسطة سيف العلم
 والجسم واحيا بماء حياتهما من ربيع الاداب ما اندرس من رسم
 كتبه بقلمه الفقير الى مولاه ذى الاعزاز
 محمد الباز

—••••—

صورة تقریظ الحکیم محمد اجل خان بهادر الدهلوی طیب
 الذات النوبیه الرامپوریه سلمه الله تعالى
 بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من جعل الفصول شتاء ومصيفا وربيعا وخريفًا واودع في كل
 منها الآثار العجيبة والخواص الغريبة والصلوة والسلام على رسوله الذي
 هبت به نسائم الروح والريحان وزال بزلال كلامه حر الفرق والعصيان
 واصحابه الذينهم كالشموس في سموات العلى والبدور الكاملة في الدجى
 اما بعد فقد فزت برسالة في عاية الفصاحة ونهاية الرجاحة والملاحاة ومقالة
 في نهاية البلاغة محكمة الصنعة موقنة الصياغة مرتع لافكار الادباء ومطمح

لأنظار الفصحاء تراها بكرا تنفج في حلل الحجاز وتتأيل نيا على شوارع
الحقيقة والمجاز تنجذب القلوب الى حسنها وجمالها وتندهش الابصار من
غنجها ودلالها كلما افكرت في محاسنها ازددت بها شغفا ومتى اقتفيت
اثارها حصلت منها طرفا (نظم)

هي روضة لوشمتها * لجنت من ثمراتها

وهي التي تبقى الاديب بسر من تفحاتها

وتلك الرسالة مؤلفها الفاضل اللبيب والعالم الفاضل الاديب النبيل
التحرير الشيخ ابو بكر بن محمد خوير وضع فيها بدائع المعاني وصنائع البيان
لا كالتى لا تبين ولا تبيان فيا لله من ريج هبت من ديار تهامة وظهور نجم
تلا بعد استناره تحت الغمامه الا ايها الطالع الصالح تجد فيها الحر والبرد
الكالح متنازعين كالمتعادين اذا نظرت الى جميع الاول وجدتها رفيعة
وان لا حظت براهين الثاني الفيتها منيعه فانتهى امرها الى المصنف
الفاضل وركنت قضيتها الى هذا القاضي العادل فراعى الجانبين واتى
بما ليس فيه رين ولا شين والحق ان فيها من نوادر الادب ما تجود بها
ادباء العرب ان رايتها ازددت بها خبرة وبصيره لانها طلعت كالدراري
المنيرة وهي تضاهي الكتب الشهيرة في هذا الباب بل ورفعت عن سرائرها
الحجاب هذا والحمد لله خالق الخالق ومنزل لكتاب وتمتحن الاعمال
يوم الحساب

الحكيم محمد اجمل بن الحكيم محمود حان الدهلوى

نقل من خطه الشريف حرفاً حرفاً

صورة تقریظ علامة المعقول وامام المنقول مولانا الشيخ

محمد طیب المکی رئیس المدرسة العالیة الرامبوریه

لا زال فی رتبة علیه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي وسم المواسم بحلى الثغور البواسم وزين الزمان بهذه
الاربعة الاركان فمست في غلايل وتاهت بتلك الحلى والشمايل تسمى
فصولا وهي موصولة وتبدو مديجة وهي من الدرن مغسولة وليس هذا
باعتجب من اختلافها في العدد بحسب اختلاف الافاق والبلد ففي الافاق
المائلة هي الزمان في عدد العناصر للابدان وفي الافاق المستوي تحكي
الأمزجة الثمان هذا مع ما لها من جد وهزل . ورخاوة وأزل . وغضاضة
ونضج وبضاضة وغنج فانما هي راحة ارواح وساحة افراح وسكر وسكر ومزهر
وسمر ذلك تقدير العزيز العليم الحكيم القادر العظيم الذي اعطى كل
شيء خلقه وافاض على المقتاق رزقه وحقه فلذا استأثر كل شيء بحمده وبلغ
مبلغ حسنه وكماله فكل في نفسه فاضل ولا يقدم العاقل على ان يفاضل
واما اذا اصفتها الى طبائع الناس وما يترتب عليها من وحشة وايناس
فللناس فيما يعشقون مذاهب ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك اللهم
الا ان تذوق من حزب هو حزبك وكل حزب بما لديهم فرحون فاذن
النظر في الصيف والشتاء اذا حقق وحقق يرجع الا ثلاثة انحاء نظر في
انفسهما فهما كاملان ونظر في منفعتهما الخلقية فهما نافعان ونظر في
منفعتهما بالاضافة الى الأمزجة فهما ضاران ونافعان فلذا توقف المصنف
والحكم وانصف كل منهما في القضية وما احتكم فله در المصنف حيث
وفق للعدل في مثل هذا الزمان وافاض عليهما من تأمل فضله الامان

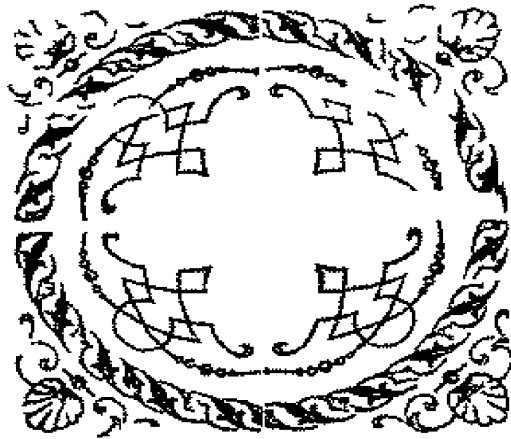
وهذا يدل على سلامة سليقته وعرارة مادته وإيم الله أنه للعالم العلم الذي
يعري السيف إذا علم بالقلم وبصوغ من المداد اللثالي ويريك الشمس في
جحج الليالي لا أقول أحيا الأدب ونشره وإنما أقول خلقه فقدره وصوره
وشق سمعه وحرره ليس الأدب كان صامتا حتى انطقه وكذرا حتى روقفه
وكان ذا مترية فصيرة مرتبة قوّم رميحه وأعاد هتيه واصاف اليه
حلقا حديداً مقيم لا عدائاً كوبراً حجارة او حديداً مستعودون الى دار
البوار وتخلدون من الحسد في النار وهذا الكتاب لا يتعاطاه سوا
الاكياس ولا بتدارس غيره جميع الناس فهذا الكتاب للعلماء تذكره
وللعذاق تنصره وللمتعلم مساهج وللمبتدأ معراج وفي المحاليس نديم وللصيوف
تكريم وإنما هو مسامرة الصيف ورحلة الشتاء والصيف. واعجوبة الدهر
وسلافة العصر كيف لا ومصممه ناصر السنة والكتاب كما انه متسيد
اركان الآداب ليس انه لما رى نقاعد كثير ممن يتحل عن بصرة مذهب
الامام ابي عبد الله احمد بن حنبل قام بصلته وقوية ربطه والتوبة باسمه
في كل نادي واشاعته في كل مصر ووادي فهو الذي اذا قرر انقادت له
الشموس ومتى حارت نظامت لهيسته المحار والطورس

حبر امام العصر كيف سبه * بحر دحائه لكل عبيه
بل عم من تهذيبه حسابه * فتراه يعطي الصبح من يؤديه
كالشمس تلحق كل شيء نورها * والدوح يعطي الفصل من رميحه
روض العلوم ورهره حلاقه * بحر ولكن كل عذب فيه
ولقد تسعت الرمان واهله * وعجمته مصفا بلا غمويه
وصحت فيه كل تنهم كامل * رايته منه بعض ما يحويه
كن ابو بكر صديق صادق * صاف السريرة ناصح لاجيه
قد قام الاسلام قومه ناصح * واهل در الفصل بين دويه

هدا اذا ركب اليراع ساه * حرت السوق حله تنعيه
 وادا تكلم حاطبا ملك الوري * حتى يداه يقوم بالتسويه
 ادب ودين في متانة رايه * وفكاهة وطرافة في ميه
 ما فيه عيب غير ان رمانه * ومن تعري عن حلي التبريه
 لكن ابو بكر معيب كماله * يصو رمي من اتقويه
 لا زال مصطلعا نكل محلة * في ظن عر ساع الترويه
 هدا التقريظ . لاد حمد طيب ر

المرحوم محمد صالح كاتب

ليصكي



❦ كتاب سلوة الحريف * بمنظرة الريع والحريف ❦
 ❦ لفريد الزمان الشيخ الاجل قوام الادب ابي ❦
 ❦ عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله ❦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله مقسم القسم * وبارىء النسم * ومدبر النعم * ومزيل النقم
 حمداً يوازي بواطن نعمه * ويمجزي ظواهر كرمه * وان كان كرمه
 لا يوازي * ونعمه لا تجازي * باقصى المحامد * وابعد جهد الجاهد *
 وصلى الله على رسوله محمد وعلى الطاهرين من امرته . والطيبين من
 عترته *

خرجت يوماً وأنا في خدمة قوام الملك ونظام الدين ابي يعلى احمد
 ابن طاهر اطلال الله في المعالي لتحذيب المعاني بقاءه * وحرس في اقتفاء
 المكارم عن المكاره فناءه * وساط على الافاضل بانداد الفواضل نعماءه
 وعطف على العلماء بحفظ ايامه وزمانه * وجل الدنيا بعزة تمكينه فيها
 ورفعة مكانه * متنزها ومتفرجا من الحفلة بالوحدة متسلها * ومتشفا ببرد
 النسيم عن حرقة كنت بها متسلها * مترنما بلواعجي اطفئ لظى صدرى
 لها بندق دموع سحيم . على اني احب المكان القفر من اجل اني به اتغنى
 باسمها غير معجم * فاطلمت بي عيني لتخلص مما بها على عين تموج بماء
 سلسال زلال كماها انكدرت من سسل في زلازل واذا قريب منه
 روضة دعتنى واشترأت بي على عين اخرى وهي لتفجر من محاجر الاحجار

هذ الانفجار كانها سيف الصبح سل من غمد الظلام يتهدد الشهب بورود
النهار * او كانها التضناض ينساب على الرضاوض في الانهار * فقعدت
عليه وحدي بل بوجدى خاليا * وبالنظر فيه ساليا * اتأمل منه مكانا
خاليا * واتنفس نفسا عاليا * وامنى نفسي بلعل وعسى * لانه اذا امتلات
نفس الكريم تنفسا * فلحقني رفقة من اهل الادب * خرجوا للطرب *
او لبعض الادب * وفيهم شاب كان جملة الجمال منه خلقت . وتفاريقها
عنه سرفت * وعلى جميع الخلائق فرقت * يتصرف بشائله في القلوب *
تصرف الهواء بالشمال والجنوب . له قد نخل في حشى النحل دقة وشر
حوى طيب الجنى

وعينان قال الله كونا فكاننا * فعولان بالالباب ما يفعل الخمر
وطرة كالفسق * على غرة الفلق . واصداغ توقص على النار من
وجنته * وتسلم عليها وتحرق العناق دون الوصول الى كوثر فيه وجنته *
فيا له من حسن شعر يغبر من وجه المسك لونا * ورائحة وعزا وصونا * على
وجه يخجل البدر ويرده الى محله من الحاق * ويشور الشمس ويردها في
في المغرب دون الاشراق * فلما كنا حسنه واحسانه * وسبانا وجهه
ولسانه * ولحق بي بعض من يخدمني فاستدعينا بشيء من البوارد * على
ذلك الماء البارد * الذي يتلا كاللاكي من موارد كالمبارد *
وتجمعه ايدى الصبا ويلطفه كالهواء وينقيه من كل اذى وهباء *
ويتخلل تلك الرياض غدير كالمرآة المجاورة يطلع فيها السماء بنجومها *
وكادت تخوض فيه زهرها بل غرفت بينها برسومها ومجموعها * وتجمشها
عيون السحاب بسجومها * وقد اخضر شاربها كالزبرجد الانفسر * واقترت
عن ثغر حصائنها كالدر الازهر * وكأنت وجه الارض يفايظ السماء
بغديرها وبراغمها زرقته وصفائه * وزهر حصائنه * كما تباريها باخضرار
نباتها وكما ان السماء تجاري الارض باغبرار سحبها المتقطر * كذلك

تباري السماء باخضرار نباتها المتفطر * وكما ان الارض تشاكل السماء
بازهارها وانوارها * كذلك السماء تماثلها بازهارها وانوارها * وكذلك
الارض

يضاحك الشمس منها كوكب شرق * مؤزر بعصم النبت مكهل
والسماء تقول ان لي احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم الله
ساجدين والارض تقرأ والنجم والشجر يسجدان فيينا نحن في مفاخرتهما
عبدا * وان لم تكن نظرا . ذطلع علينا شيخ متر من تياب الديباج
والخز * مفرق في كسي الحرير مبطنه بالقز * مديد القناه قصير الخطى .
يقومه الفرح والرح كالسهم فيمضي ويقوسه السكر او الكبر فيتمطى . فحين
قرب منا ملا الارواح خفة روح وظرفا * والاتقاس ذكاء ونشرا وعرفا *
والقلوب ذكاء وبشرا وعرفا * والعيون جمالا وملاحة وبهجة . والمسامع
بيانا وفتاحة ورسوخة . نعمت واستقبلائنا من طرفا اليه * وطارنا حواليه *
بقلوب لهيبه خافقه * ونوس على شيبه رقيقه * وبرنا وسرنا * وحفنا
ورنا * ونخص كلاً منا بعزته وحسنه . وابهج جماننا بمليح لسنه وفصح
لسانه . فاقبلنا عليه وتركنا التاب الذي تملكتنا حسنه واصبانا . واقتنصنا
ظرفه وسبانا . واذا للشيخ بء وابيه . والنكرة فيه موقظة للالباب
ومنبه . ومجالستد موجهة عن الخمول ومنبهه . وله شعر ابيض مشرق
يخمل بياض البازي . ولون احمر ناصع يخج حمرة الياقوت البهرماني
وعينه تذكرات حسن عيون النرجس الريان . وحاجباه يبصرانا
هلال الفطر سرورا وجورا . او هلال رمضان . الامر بالبر والايان
واذا له شعر يصحك من مدى الاقحوان . ولونه الدرى يهز بالمرجان
وانه يشمخ تيبها على الفتيان . وعجاسه تضيء ببياض النعمه .
وتزهر بنور النعمه . وتلوح بطيب النعمه . فجمعت النعم انواعا

والوانا . واستكملت الطيبات ضروبا وافنانا . وله صدر فسيح الارجاء .
 يتسع لواردية الخوف والرجاء . فأقبل علينا بالوقار والسكينة .
 والبلاغة المكيمة . وقال الآن اذ سكنتم الي وتمكنتم . ففهم كنتم . فقلنا
 له اعجبنا هذا الماء الصافي عن الكدر . وهذا المكان الخالي عن القدر .
 فقال الشيخ هكذا يكون الخريف يصفو ماؤه . وتصفو نعامؤه . ويرق
 هواؤه . وتخف ارواحه . وترتاح بنعيمه المقيم قلوبه وارواحهم . فانتدب
 الفتي الطري . الشاب الاريحي . الذي تقدم ذكره وقال في غضب وحرد
 يا خرف ابا الخريف تدل علينا وهو زمان امراضه مزمنه . وفصل جملة
 موهبة موهنة . وحين طبعه حين وحى . ومزاجه موحش ولجة . ووجهه
 طابس . وثرابه يابس . وهواؤه كالح . وماؤه بطبخ حرارة السيف اياه
 زعاق مالح . ولم نسيث فصل الربيع وفضله وسيماء ونشده . وطلافته
 وبشره . اذا اقبل يتهلل ويتبسم . ويكاد من الحسن يتكلم . . طرى
 الاحشاء والحواشي . ندي الغواصي والغواشي . لذيد الابكار مسجج
 الهواجر طيب الاوائل . فقال الشيخ بركون . وتودة وسكون . ما اسمك
 ايها الظريف الطلق الوجه واللسان واليد . الماضي المضى كالسيف في
 الحد . والجد والحد . اللطيف في المنظر والمخبر والمطلع والمقطع فقال
 اسمي الربيع بن الطيب فما اسمك ايها الشيخ الكريم في اخلاقه واحلامه
 السيد الغافر بعفوه خطا غلامه . المتجاوز عن ذل كلامه . فانا كما قال
 السلامي

تبسطنا على الآثار لما * راينا العفو من ثمر الذنوب
 ونحن اولاك نطلب من بعيد * لعزتنا ونذكر من قريب

فقال يا حبذا وجهك المبارك . قد جل باريه وتبارك . اهلا بك
 وبقومك . ومرحبا بوقتك ويومك . اسمي الخريف بن المنعم فما خبيرك

مني وانا عن نفسي ناضح . يبرهاني اللائح الواضح . فقال الربيع وانا كذلك
فاعذرتني وقد عرفت طبعي في تلونه وان كان مقبولا وحالي
في تفتنه وان كان لذيذا معسورا فقال الخريف انت يا فتى معذور .
بل مشكور .

فروحك الريح تخفي كل منتنة * ونارك النور تمحو كله الظلم
وانت من في وجهه شافع يمحو اساءته وفي حسنه دافع نافع فهذا يزين
كل مليح . وذاك يبدفن كل قبيح .

وقبيح الصديق غير قبيح * ومليح العدو غير مليح
فلم تفضل الربيع على الخريف . يا ربيع الظريف . وقد عرف
العالمون بأسرهم واعترف العالمون ان الربيع في طبعه كما وصفت متلون
قليل الوفاء . كثير الاخلاق في الجفاء . لا يوقف على طبائعه وهي
كأني براقش ولا يوثق بسجاياه وهي كأني قلمون بينا ترى الشمس سافرة
نقابها . وقد ارسلت سحابها . واوحلت طرق المارين وبلت ثيابها . وبينما
ترى اوجه السماء في بكائه وانها لاله واستهلاله اذ عاد الى ضحكته وتهلله
واستغرابه وبينما تراها وهي تقرب سحبها وتبعد . وتصوب رياحها وتصد .
وتبرق بتسحبها وترعد . اذا بدا لها واستبدلت بتلك الحالة ابدالها .
ليس كالخريف ساكن الجاش وقور الطباع ثابت الشيم مطمئن
الشئائل . يوقظ الناس للاستعداد للشتاء بالجنائب طورا وطورا بهبوب
الشئائل . وينبههم حينما يبرده الخفيف الرقيق القارص بانامله وتارة
بنسيمه اللطيف الرقيق اللاحظ بتواظره وهو في هذه الاحوال كلها
يميرهم بريعه الوافي الوافر فهم يمتارون منه ويحتكرون . ويتوسعون
في ما ينالون منه ويدخرون . ويقتنون فواكههم ويعصرون
ويحتظرون .

❖ قال الربيع ❖

اما ما ذكرت من تلون طباع الربيع . وانه كل ساعة ياتي بخلق بديع .
وطبع غريب وكيف ينكر التلون من طبائع مختلفة . وامزجة مركبة من
عناصر غير مؤتلفه . وانما فعل ذلك لكي يحيي كل عنصر بمزاجه . ويهز
كل طبع بما يقتضيه من حاله لا فتقاره اليه بالمناسبة واحتياجه . ولكي
تروح الامزجة بالتجدد بعد الاخلاق وتنتعش العناصر عن البلى فهو
يندارك بفعله اللطيف . ما افسد الخريف . وذلك التلون حبيب الى
النفوس لانه ركب من طبائعها ولذلك شبه الشاعر معشوقه به في
فعله فقال

اما ترى اليوم ما احلى شمائله * صحو ونعيم وابراق وارعاد
كانه انت يا من لست اذكرك * وصل وهجر وتقريب وابعاد
وبعد فالتفكّر والقلب يسأم الدائم والحض اروح والجديد الذم .
واما ما ذكرت من سكون الخريف ووفاره فانما هو لبرده وبيسه والحي
تكون حياته بالحرارة مع الرطوبة والميت يكون موته من البرودة مع
اليبوسة فالربيع يحيي والخريف يلبى واما ما ذكرت انه يميز الناس المطاعم
ويفيض عليهم المناعم . فان ذلك كله مما نتجته ايدي الربيع وقدمه
تدبيره المصيب واورثه عمله النافع وولده كسبه المفيد وعلى الايام يظهر عمل
المدير المصلح . وبعد الاوقات يتبين تدبير العامل المقلع .

❖ قال الخريف ❖

اما ما ذكرت من الخريف وان طبعه بارد يابس كطبع الميت وان
طبع الربيع حار رطب وهو طبع الحي فقد جهلت او نسيت واخطأت او
خطيت فان الحرارة اوحى قتلا وعجل اهلاكا من البرودة والدليل عليه

حال المبرسمين بالقياس الى حال المفلوجين والكيفية الباردة اليابسة هي للارض التي منها خلقنا واليها المصير . وعليها قرارنا ومنها غذاونا وهي الملحأ والنصير . وهي طبع السوداء التي هي علة الآفات والثبات والحلم والوقار واصحابها من ذوي العلوم الشريفة . والصناعات اللطيفة . هذا ان سلمنا ان طبع الخريف بارد يابس واما ما قلت ان ما يمرهم الخريف فمن صنع الربيع فكيف يكون ذلك والخريف وقت البذر والشتاء خليفته في تربته ولذلك قال الشاعر

ان الشتاء على كلوحة وجهه * هو المفيد طلاقة المصطاف

فما للربيع الا اخراجها مع الحشرات واظهارها مع الهوام فيبلى ابلاء حسنا مشفوعا بسوء بلا . ويقترف فعلا واحدا ممزوجا بالفساد اذى . ومع ذلك فهو الذي يهيج الاخلاط الفاسدة في ابدان الناس ويشير الكيموسات الرديئة في اجسادهم وينذّب الكيفيات الخبيثة عن اجوافهم . وهي جامدة ويحطل الحرارة الغريزية عن احشائهم . فتذهب بها في الهواء المشاكل لطبعها ويترك اعماق اجوافهم هامة خامدة ويولد في بشائرهم وظواهرهم القروح والجرب والحكة والحصبة والحُميات الدموية والاعلال الحارة والخريف يطفى هذه الامراض الدموية ويميت الحيوانات المعفنة ويفنيها او يجعلها كالغاية من السكون كالحشرات والهوام وهو الذي يعدل الطباع بميزانه ويسوي الامزجة في ابانه . وينعم الناس وسائر الحيوان بانواع نعيمه والوانه . وينصف النهار والليل عدلين مؤتلفين . ويجعل الغنى والفقر يميزته مثلين غير مختلفين . فيوتهم مملوءة حبوبا . وحبايبهم مشحونة مشروبيا . ونهارهم مشغول باقتناء المير والدخائر التي اوسعها عليهم الخريف لشتائها . وحضهم كل بكرة على اقتنائها . ويلهم ملهى بالشراب الطيب والفواكه اللذيذة والرياحين الارجح والخيرات البهيجة .

❖ قال الربيع ❖

اما ما ذكرت من الربيع وان حره يودى او يوذى بالانسان وسائر
الحيوان ووصفت العلل الحارة كالحميات الدموية مثل السرسام ونحوها من
شدة الاسقام فقد اوهمت . او وهمت . وتغافلت . او اغفلت . اذ
الربيع في طبعه معتدل المزاج ولذلك قال جالينوس من لم يهزه الربيع فهو
فاسد المزاج . يحتاج الى العلاج . وانما يقع اكثر هذه الامراض في
صميم القيظ وحميم الصيف الحار . وانما تاخذ الجار بذهب الجار . والربيع
باعتدال طباعه والشتاء مزاجه وانتظام احواله واختلف اخلاقه وافعاله
يقوى كل طبع ويبعث كل مزاج وينبه من فسد بعض الاخلاط من
مزاجه . ليتشمر في علاجه . ويحيى كل موات بعد ضياعه ومفتقده .
ويضعف كل بال عن مرقدته . ويذكر بالحشر . ويبدل على صحة النشور .
واما هذه الحشرات والهوام فان الله تعالى خلقها ولم يخلقها من فائدة تعود
بمصلح الخليقة ولم يخلق شيئاً عبثاً بل كلها يختص بمنفعة للبرية وان
سمومها اذا اخذت منها واخرجت تدخل في الادوية المجربة ويستعملها
الاطباء في الادواء المؤذية . ويستشفى بها في الامراض المردية . ومع ذلك
فانها اعنى الهوام والحشرات تجتذب من الارض وسائر الاركان السموم
التي تخالطها مما يشاكلها . وتستلب منها ما تقتدى به مما يلائمها ويوافقها .
فتبقى الاركان للنبات الذي يحتاج اليه الحيوان صافية عن كل شائبة
وقذرة . ويخلو النبات والاعذية نقيه من كل عاثية واذى . واما ما قلت
في الخريف وان يوسع على الناس وجميع الحيوان ما اكلمها واغذيتها .
وبفيض عليها فواكهم ورياحينها وانبتتها . فهذا بان يكون من معائب
الخريف اولى من كان يكون من مناقبه وهو احد الاسباب التي يكثر بها
الاسقام المزمنة في الخريف فانه يستكثر الناس من اكلمها فتستوربله طبائهم

فيمجلب المرض . او الحرض او السبب له والعرض . ولا يحتمله مزاجه
 الذي اقبله حر الصيف وانحله ضرر القيظ واستصفته وقدة الهواء .
 كما يستصفي التنور المسجور رطوبة الشواء . وحلل حرارته الغريزية .
 وفش مخونه الطبيعية . حر الفصل فلا يطبق ما يأكله بالخريف ولا
 يحتمل ما يناله فيسنوخه ويسنوبله ويولد عليه الداهية الصباء من
 الامراض والمظلمة العمياء من الاوجاع ولذلك جاء في الخبر ان مما ينبت
 الربيع ما يقتل حبطا او يلم . والربيع بحمد الله مقل من الفواكه المضرة
 والانبذة النيئة والاطعمة الويلة الويشة . والاغذية الوخيمة الرديئة .
 وغداوه للناس من الخبز الحنطى النقي واللحم من الرضيع والشراب العنبي
 العتيق المرى وتنقلهم بالفواكه التي قلما تعفن بمنزلة الرمان والسفرجل
 والنفاح ونحوها مما يبقى في الشتاء بقوته ومشمومهم من الورد الرائح اللانح .
 والنور العبق الروائح . والسافرم الذى ياخذ بطبع الربيع في اوانه فيكون
 حارا رطبا لا كما يكون في الخريف باردا يابسا مولدا الزكام . كقطر الزكام
 ومورثا الصداع . يشق الرأس بانصداع . وها من خصائص الخريف اعنى الزكام
 والصداع ومسموعه من اغاني البلايل والقاري ونحوها التي يهزها الربيع
 برواحه التي تعبر عن العبير والعود والقاري لان الربيع كما قال
 الزعفراني .

وفصل فيه للروض احتيال * لان جميع ما لبست حرير
 ولا اغصان من طرب تنن * اذا جعلت تغنيها الطيور

﴿ قال الخريف ﴾

يا فتى ما اعذب لسانك . واعجب شانك . واملحك في فصاحتك .
 وافطك مع ملاحتك . حيث تعجزنا ببيانك الشخي . كما تسحرنا بلقائك
 البهي . فتاتي الى ما اجمع العالمون على استهجانه فحسنه . وما اطبق الحكماء

على استحقاقه فتعجبته فانه اتفق العاقل والجاهل والبار والفاجر على بغض
الهوام المردية . وعلى الحشرات المؤذية . وكراحتها واستقذارها . واستنجاسها
واستنكارها . لما تعافه الطباع في احساسها بالابتداء . ولا تخافه المعارف
من مضارها في الانتهاء . وانت تصفها بكثرة منافع ومصالح وتكابر العقول
السليمة والعادات المستقيمة . بلسانك الحول القلب وظرفك المخلط المذيل
وبيانك المعن المنع وما اتفق الناس على السعي فيه والحركة له والبقاء به
والحرص عليه والحنين اليه . ومنافسة بعضهم بعضا لاجله وبالجمل ما به
صلاح العاجل والآجل وفيه خيرات المعاش والمعاد حيث تعييه وتذنيه .
وتهضم رايتك بذلك ونضيمه . وهو نعمة الله التي جعلها مادة الحياة وصورة
البقاء لاجل من يستكثر منه فلا يستمرئه . وبسبب من يستعز فيه فلا يهينه
وتروى له الخبر الوارد في الربيع وتحيله عن حالته . وتقلبه عن قلبه
وهيئته فانه قال ان مما ينبت الربيع ما يقل حبطا او يلم واما قاله
للمواشي دون الناس فان الربيع لا ينبت شيئا ينالونه فيحبطون منه فويج
لسانك انه حسام . الد الحسام . ملتهم المحامد قاذف المذام . اما الكلام
في الحشرات والهوان فان اسضرار الناس بها معروف وانفعائهم بسببها
منكر وغوائلها جلية . وعائدتها خفية . واما ذكرت ان بسموميا يسندفع
بعض الاخلاط الفاسدة فلعل تلك الاخلاط منيا تولدت في النبات
وبها اخلطت بالامزاج والامتاج وبروائحها امتزجت بالحيوان فهذا ما
بطن من حالها وما كمن من افعالها فاما الظاهر فان الافاعي والحيات .
والعقارب والجرارات . ونحوها هي قاتلة معطبة او موزية مؤلمة ولا تخلو
من اتلاف . ولا تعرى من اذناف . واما النعم الطيبات التي جعلها الله
رزق الخلق وانبتها في الحريف فهي مبنغة مرتضاة محبوبة الى الخلق
مقضية وهي تشبهها الانفس وتلد الاعين وبها وعد المنقون في دار البقاء .
واياها منى الابرار الى مثابة الثواب والجزاء . ولكنك اعطيت مبدئا

ما استرددت منتهيا . واصلت قيلسا . تبنى عليه ثم هدمت منه اساسا .
 فقلت بآخره ينال الانسان في الربيع من الما كل والمشارب والمشام
 والمسامع كيت وكيت . وحكيت من طريق التنم ما حكيت . وما افتخرت
 الا بما اقناه الخريف واعطاه . ومهدء للخلق ووطاه . وان لم يمكن به
 الاستمتاع الى وقت الربيع وقد يبقى منه الكثير الى طلوع الخريف وقلا
 يستمتع به المرتجع وذلك لانه عملاء بسخونة الهواء . الذي يمنع من استيفاء
 الغذاء . ولا يهنا . ان نشط في الامتلاء . وهو مملؤ باخلاطه الهائجه . وكيموساته
 الهائجه . ويعنيه من امرها ما يشيه عن تمتعه وبضجره بعمره . فضلا عن تفقد
 عيشه بالتنم وتعهد امره . اللهم الا الاغنياء الذين يقل عددهم . وتكثر
 عددهم . ولم ايضا حاشية وغاشيه . وعليهم غادية وغاشيه . فالحاجة عامة
 والغنية والقتية في الربيع معدومتان ثم ان وجد واجد فهو كعدوم لان
 ايامه مشغلة مزحمة اولها من الحوائج البشرية . وهي مشغلة ومزحمة
 اوسطها بالحرارة الشمسية . وهي مبغضة ومقذرة آخرها من الحشرات
 الارضية . والقاذورات الهوائية . والعفونات الربيعية . وليله غفوة كحسوة
 طائر . او قبسة عجلان او خلسة زائر . واما المخترف فنهاره بقدر ما يكتسب
 فيه ويقترف . ويعمل به ويحترف . ويقضي المهات . ويكشف الملمات .
 وليله للطرب . وقضاء الارب . والتنم والعجب كل العجب ممن يستوخم
 فيه ما يناله من الطعام . وهو يقوده باشهى الادام . ويسوقه باهنا المدام
 وذكر جالينوس ان الارباء . التي تقع من العفونة تم افناء الناس اهلاكا
 وافناء . الا مدمني الحمر فانهم يتخلصون لان فضول الخمر لا تتعفن .
 فالخريف يمنع بالطيبات المطلوبة . والملاذ المحبوبة . ويصلح ما افسده
 القيق بمزاجه الحار اليابس بترطيب الشراب المرى . ويسوى ما عوجه
 الصيف من الفحول والذبول بتغذية الطعام الهني . فهذا صلاح الخريف
 وفساد الربيع

❖ قال الربيع ❖

لله انت من شيخ بهر بل بهت العقول . في ما يقول . ويعمي بل
 يعمه الذكي الفطن . بما يظهر مما يريد او يظن . الا ان كلامه لا يعدو
 مناع المطامع او مطارب المشارب والشيخ مثلك يجب ان يقنع من الدنيا
 بالذات التي تروح الروح وتنفس النفس ونقر العيون وتسرع القلوب
 وتطرب الافهام الذكيه . وتطري الاوهام الصفيه . من مباح الربيع
 وملاذه وطيباته ومساره فكما صعد الناظر فيه ناظره رأسه وجهاً للسماء
 بهجة البيضاء البليج . وعيناً سوداء من ظلام الغمام ذات حدق ادعج .
 وهواء باعتدال قوامه وحسن نظامه جد سحسج . والشمس تسفر حيناً
 وحيناً تلتقد والسماء تخلق طوراً وطوراً تنسحب والرعد يقهقه من برق
 يتسم . ونبل الوبل يرتقي عن قوس في معارج الهواء لتلون وترسم
 والسحاب كخليج من الفتيان يسكب دمه وقد هزه طرب الراح . والنسيم
 نشوان والجو صاح . وكما صوب ناظره الى الارض صعد بصره بوشي
 دهباج حكته بد الربيع ووشته . ونمخته انامله بضروب من الرق ونقشته .
 وطرزته من الورد باحمر رغما للياقوت واصفر غيظاً للعين . وابيض نجلا
 للدر واللجين . وصبغته اعنى الورد آونة على لونين ليتسلى به العاشق
 والمعشوق . ويتفادل باجتماعها الشائق والمشوق . ومتعت منه طوراً
 باللين الناعم حاسة اللس وتارة بالرائحة الفاتحة حاسة الشم ومرة باللون
 الرائق الرائع حاسة البصر ثم جلت كل وقت عروسا من الرياض في الوان
 من الازهار . وانواع من الانوار . وقد غسلتها ايدي الغواصي ومشطتها
 لمقابض الروائح . وعطرتها من النسيم المسكي باطيب الروائح . فهي تختال
 وتبرج . وتنمطر وتنارج . وترفل من حللها وحليها بين مرقم ومنقط .
 ومسهم ومخطط . وسير وملون . وموجه ومعين . ومقرط ومشنف ومتوج

ومعصب ومككل ومزبرج . وممسك ومعتبر . ومصنل ومكفر . ومدرهم
ومدثر . صبغة الله ومن احسن من الله صبغة وصيغته . ومن يأتيه بمثله
صيغة لا صنعته . وهل له شريك في صنعته

وكأن السماء تجلوعروسا * وكأننا من قطره في نثار

وكأن الرياض تنظر الفا * وكأننا لحسنها في نظار

فالربيع النموذج الجنان وترا به المسك الاصب . والعنبر الاشهب .
والكافور الازهر . وهو اؤه لا حر ولا قر . وماؤه كثر . وانهار من ماء
غير آسن وانهار من غسل مصفى وانهار من خمر لذة للشاربين كذلك ماء
الربيع خلوقي في اللون عسلي بالذوق خمرى بالصفاء والاستبراء * واما
ما ذكرت من اعتدال زمان الخريف المسوى بالميزان فهذا الاعتدال
بالحقيقة موجود في الربيع فانه معتدل الليل والنهار والاصائل والهواجر
وذلك الاعتدال الذي هو الاوقات موجود ايضا في الكيفيات لاستوائها
في الوزن من الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وهو مرضى * والاعتدال
الذي للخريف مسخوط الكيفيات لخروجها عن الاعتدال الى البرودة
واليبوسة فالربيع من الاركان بمنزلة الهواء في اعتداله ولطافته . ومن
احوال العمر بمنزلة الصبي في طراوته وطلاوته ومن الاخلاط بمنزلة الدم
في عذوبته وحلاوته . لانه شباب الزمان . وربيعان الاكون . وعنوان
العام . وعنفوان الايام . وبأكورة العمر . وبكر الدهر . وانف الكاس .
ورأس النفس بل هو عين كل رأس . ومطلع القصيدة . واول الجريدة
وبالجملة الربيع لب الزمان والخريف قشره والربيع نقيه والخريف عظمه
والربيع صفوه والخريف كدره والربيع سلافه والخريف عكره والربيع نديه
والخريف درديه والربيع انفه والخريف ذنبه . ومن يسوى بانف الناقة
الذنب . والربيع صدره والخريف عجزه وليست الاعجاز مثل الصدور

✽ قال الخريف ✽

تبين اي الفصلين أكثر مناعم . واوفر مكارم . واوفى اغناء . واقناء
واقنى اعطاء . وايلاء . واصفى ابتداء . وانتهاء . وكل منا يمدح صاحبه ومن
يمدح العروس غير اهلها ويذم قرنة ولا تعدم الحسناء ذاما فعلينا ان نبين
وجه التفضيل بخصائص كل منهما وانت ندعي ان الربيع ايبين صفاء
واحسن اعتدالا واولى الثأما . وابلغ انعاما . اما الاعتدال بالذات فغير
موجود للاشياء الكائنة الفاسدة لانها لو اعتدلت وتكافأت قواها .
وتساوت اجزاؤها . لامنعت عن الفساد . لان كل واحد منهما منع
صاحبه عن القهر والعناد . واما الاعتدال بالاضافة فانه يكون فلتنبه عن
الفصلين ايهما ايبين اعتدالا فقد علمنا ان الربيع اوله عند مبلغ الشمس
رأس الحمل والحمل تأثيره بالحرارة واليبوسة ولفضله برودة ورطوبة ورتها
عن الحوت الذي استدبره وبرودة ويبوسة يستفيدها من الثور للذس
يستقبله والميزان في نفسه تأثيره الحرارة والرطوبة ولفضله برودة ويبوسة
مستفادة من السنبلة التي استدبرها وبرودة ورطوبة من العقرب التي يستقبلها
فاذا قوبل كل واحد منهما بصاحبه ساوى الحوت والعقرب والثور السنبلة
في كفياتها وبقي الحمل في نفسه حارا يابساً لانه بيت المريح وشرف الشمس
وناهيك بما لها من الحرارة واليبوسة والميزان بيت الزهرة وهي احد
السعدين فبقى للميزان الاعتدال ولذلك سمي به لان فصل الخريف استفاد
من الصيف حرارة ويبوسة ويستقبل من الشتاء رطوبة ويبوسة وهو في
نفسه حار رطب ✽ واما تشبيهك اياه بالشيخ وتشبيهه الربيع بالصبي ثم
تفضيل الصبي على الشيخ فهو امر غريب ومعنى بديع وهب ان الخريف في
طبع الشيخ والربيع في طبع الصبي في الدنيا احد يفضل الصبي على الشيخ
فان للصبي رطوبة موجبة مضطربة تمنعه عن جودة ادراك المحسوسات

فضلاً عن ادراك المعقولات والشيخ ذهبت عنه رطوبة الصبي وانفصلت
منه حرارة الشببة المفرطة واعتدلت كيميائه وتكافأت قواه وتساوت
احوال مزاجه فلذلك يكون ادرك وادري . وابلغ وابلي . والطف والطي
واذكروا ذكي . وشبهت طبع الربيع بطبع الهواء قلهمري ان الميزان اليق
بهذا التمثيل من الحمل لو انصفت فان النجمين والاطباء اطبقوا على قولهم
ان الميزان هوأي اي له طبعه وكذلك الدم * واما ما ذكرت ان الربيع
استبد بالورد والنور والزهر واختص بالشراب الصافي والماء الخلوقي والهواء
الرفيق والسماء المبرقة المرعدة فقد علمنا ذلك * اما الورد فقد يكون ايضاً
في ايام الخريف وخصوصاً النسترن وهو اطيب الوانه وكذلك النور والزهر
وكلها في الخريف اطيب منها في الربيع لان رائحتها محصورة فيها غير
منبعثة عنها وان كان الربيع يزهي بالورد السريع الورود العاجل
الصدور الذي لا يتشممه الشام صالحا واذا هو ذابل ولا يشمه اللامس
وافيا واذا هو ذاوم ولهذا يعير العشاق معشوقهم بالانتقال
عن العهد . والزوال عن الود . ويشبهونهم بالورد ويتشبهون بالآس
وانما منهم ان يتشبهوا بالنرجس مع بقائه . وحسن عهده
ووفائه . لانه يكون تزكية لانفسهم وتفضيلا لدواتهم على
معشوقهم بالحسن الرائع البهيج . والطيب الريح الارج . والطرف الفاتر
الغنج . والقدر المستوى المتعرج . هذا مع بقائه ووفائه وامتناعه بنفسه
جملة اشياعه واتباعه والخريف مختص به وبالزعران ايضاً وهو من الحسن
والطيب . والتفريح والتطريب . والنفع في ادوية كثيرة ومعاجين جملة
وزرائر عزيزة ما لا خفاء به وله مدخل في عداد العطر والطبخ والادوية
واملاح الاغذية وتطيب المأكول ويبلغ في التفريح مبلغاً لا يدركه شيء
الا الخمر وقد يلقي فيها ويسقى الشارب تعمداً فيصير به ضاحكاً آتياً
بجائب . من المطارب والملاعب . * واما الشراب الصافي فقد يكون

ايضاً في الخريف اصفى واعنق منه في الربيع ويفضل الخريف بالحديث
الطرى وما للربيع فمن الخريف استفاد وكل خبر له من عنده والشرب من
أوفق الاشياء بالخريف وهو اصلح منه في سائر الفصول لان الشراب فعله
التسخين والترطيب لان هذا الفصل مكتس ومكتسب من الصيف
يبوسة ومن الشتاء برودة فيكسر سورتهما به ويفل غوائلهما بسببه وهو
ضار في الربيع لان فصله اجتلب رطوبة من الشتاء واكتسب حرارة من
الصيف فلا يقوى على حرارتي الشراب والفصل ورطوبتهما فلا تحتملها
طباعه ولا يستقل بهما مزاجه وهو ضار ايضاً في الصيف لافراط الحرارة
وفي الشتاء ايضاً لكثرة رطوبته فاوفق الفصول للشراب الخريف وتعديل
المزاج قلما يتأتى الا لمن يتعاطى الشرب هذا مع ما فيه من الطرب
والسرور والفرح واجمع الاطباء انهم ما وجدوا شيئاً يقوم مقامه في تعديل
المزاج وتسوية القوى بلا مضرة واجتلاب الفرح والمسرة اذا اخذ على
وجهه منه ولذلك قال فيه القائل

ها ما هما لم يبق شيء سواها * حديث صديق او عتيق رحيق
وهونت حلو الحادثات ومرها * بحلو حديث او ببر عتيق
واما الماء الخلو في الذي اعتددت به فما ادناه من اعتداد . واقصاه
من سداد . واي خير في ماء اختلط بالطين . وامتزج بالتراب والصلصال
المهين . فلا يمكن الشارب العطشان ان يقربه . فضلاً عن ان يشربه .
واما البرق والرعد فاي فائدة في بارقه . ربما عادت شر صاعقه . وحرقت
اشخاص كثيرة ولا تغلو من احراق قط اذا كثر حتى انه يذهب كثيراً
من الاثمار مثل الكثرى وغيره * واما الرعد فانه في قلة المنفعة كصوت
الطبل بل دونه فان في هذا انذار بامر حادث وسلطان طارىء والرعد
يهدم كثيراً من الابنية البرية ويفزع جماعاً كثيراً من البرية ولهذا يقال

لمن يتهدد بياطل فلان يرعد و يبرق كما قال الشاعر
ابرق وارعد يا يزيد فما وعيدك لي بضائر

✽ قال الربيع ✽

ما احسن كلامك لو كنت تراعيه فلا تنقض في القابل ما تبنيه في
الغابر زعمت ان الخريف تأثيره بالحرارة والرطوبة لان الميزان يشلوه وهو
هوائي دموي ثم جئت الى ذكر الشراب وقلت هو موافق في الخريف لان
طبع الخريف بارد يابس وطبع الشراب حار رطب ونسبت ما ذكره
الحكماء في طبع الخريف وانه بارد يابس مبرح . مكرب مترح . ولذلك
كانت امراضه مزمنة واطباقيهم كافة ان طبع الربيع حار رطب مفرح .
مطرب مروح . ولذلك صارت الدماء به في الاجساد منبشه . والحرارة
الغريزية منبثه . وادعيت ان الشرب في الخريف اوفق واطيب واغفلت
ان الشراب حار رطب وكذلك الربيع فالملاءمة بينهما اكثر . والموافقة
لها به اوفر . والصحيح يتغذى بالمشاكل الموافقة والمريض يعالج بالضد
وهبك لم تعلمه اما شهد لك الحس الصادق بطيب الشراب المورد على الورد
او ما سمعت ما قال فيه القائلون . وما تقلب في افانيه الشعراء والملهون
او ما بلغك ان احدهم يحلف ابنا له ألا يشرب فلما بلغ الى آخره قال
او زمان الورد ابضاً وامتنع من اليمين . ووثق ان يحث فيه او يمين . وما
حكى ان حائكا في زمان المأمون كان يعمل عمامة وقته اجمع اكنع
لا يستريح ليلا ولا نهارا . ولا يحجم سرا ولا جهارا . ولا يترك عمله في
الجمعات والاعياد ولا يفتر عن شغله بالنوائب والمصائب فاذا جاء زمن
الورد التي حفه وانشد شعرا واشتغل بالشرب اربعين يوماً ووصفت حاله
للأُمون فاجرى عليه ما اغناه عن عمله . واجزأه عن حياكته وشغله .

ولو ذكرت كله لتعسر الخطب وطال الخطاب . وعرضت حبال المقال
وامتدت طنب الاطناب . وانما قلنا ذلك لان الشراب والريبع
يتزاوجان بالامتزاج . ويتحدان في الازدواج . فيقوى فعل الروح
لاتخاذها بالراح وهذه هي علة الخمر في اجتلاب الفرح والاريجية والهزة
التي تحدث للشارب وذلك لان الدم ينبوع الحياة ومطلع السرور بزيادة
الحرارة الغريزية ولهذا يكثر الفرح والضحك في الصبيان ولن يغلب عليه
الدم وبهذا السبب بعينه يستولي الطرب على الناس في الربيع لانه فصل
معتدل والغالب عليه الحرارة والرطوبة وهما طبع الدم الذي هو ينبوع
الروح فقد تبين ان الربيع يزيد في الروح ويمد في الروح ولهذا المعنى اتفق
اشتقاق الروح والراح والروح كلها من الريح معنى مصيبا واحسن ابن
الرومي حيث قال

والله لا ادري لاية علة * بدعونه للراح باسم الراح
ألريحه ام روحه تحت الحشا * ام لارتياح نديمه المراتح
ويسمى الدم ايضا نفسا لهذا المعنى ولشاكله الربيع الدم الذي هو
مادة الروح وعنصر النفس بهيج الربيع الدم خاصة ويشير سائر الاخلاط
عامة وفي اثارها فائدة خفيت عليك وهي لكي يتدارك بالمعالجة والمداواة
وشرب الادوية التي تجعل الاجساد منقاة من الفضول مصفاة مسواة
والربيع ينشر حتى الجماد وينبت حتى الاحجار . فضلا عن الحشائش
والاشجار . ويطلع الازهار والانوار . وينجم الاوراق والاثمار . ويظلل
السماء بالمطارف الغبر . ويفرش الارض بالمطارح الخضر . ويحبل الجبال
بالحلل الحمر . ويعقد على الرؤوس اكلة من الاشجار المتشعبة ويحلل بها
نتارا من الانوار المونقة وينصب للطيور منابر تغني عليها وتدمر اطيب
الاغاني والزمير . ويطيب للناس لذيد العمر . فكانه يضمهم عرس واحد
ويجمعهم دعوة جنلى . وبقريرهم مأدبة فوضى . او كانت كلهم ملك

الارض باسرها وكأن ازهارها وانوارها دراهم ولاآل منشورة عليهم ووردهم
وشقائقهم دنائير ويواقيت مبدولة لهم وكأن نباتها زبرجد ومينا وفيروزج
متوجة اباهم وكأن امواها الخالوقية صهباء عتيقة يشربونها فتطرب بها
قلوبهم وترتاح وتنزاح بها عنهم الكرب وتزول فهل يستوي هذا وقشف الخريف
وظلفه ويبسه وقتره وغباره وكدره وتقيضه وعبوسه . وتقطيعه وبوسه .
فعيون الناس فيه سائلة وعيون الارض جامدة . ووجوه السماء مغبرة .
وخدود الخلق مصفرة . وظواهر الجبال ومفارقها من هول البرد مبيضة
وبواطن الورى وصدورها من كرب الخريف مسودة والشمائل من الارواح
عاصفه وشمائل البرية بالارواح عاصفه . فهذا حال الاغنياء منهم فكيف
ظنك بالفقراء . الذين ما لهم غطاء ولا وطاء . واني مخيلتك في الغرباء
الذين ليس عندهم تاغية ولا راغية ولهذا كان عمر رضي الله عنه اذا
اظل الشتاء كتب الى كل ناحية جاء كم العدو الخاضر فاستعدوا له واذا
سفر الربيع تقابه واكتسى جلبابه ارتاحت لمقدمه القلوب وانفتحت الغموم
عن لا يملك قيد سبد ولا لبد . ولا ياوى الى والد ولا ولد . واما
وصفك طبع الربيع بالاعتدال فالله كافيك وحسبك انك تقول شيئا وتعلم
خلافه وتظهر معنى وتضمر سواء وان بدري جميع الناس انك محموه فيه .
ومزخرف في ما تخلصه منه وتستصفيه . او ما يحاف الكذوب ان يذوب
والفصل المعتدل لا تزم من امراضه . ولا تدمن اوجاعه ولا تقتل اعراضه
وهذه قصيرة من طويلة

✽ قال الخريف ✽

حاصل كلامك ان الربيع يثبت ويورق . ويزهر ويرعد ويبرق .
وبقي ان تنظر ما الشيء الذي يثمر ويبنى ويظم . ويحصد ويقطف

ونعم بنم . ويزرع ويذر . ويربي ويوفر . وليس ذلك الا الخريف وتفضيل
 الخريف على الربيع امر متفق عليه قد صنف فيه كتب سائر . ودونت به
 اشعار في ايدي المتأديين دائره . فمن ذلك ما كتب علي بن حمزة الى ابني
 الحسن بن طباطبا العلوي فقال **الخريف ثمرة الربيع كالشجرة التي تثمر ولولا**
الثمر لم تكن في الشجر فائدة وفي الخريف تحصل اصناف ما يقوم وما يدخر
من اقوات الخلائق المسكنة ارواحها الى الخريف القابل وفيه يكون
الزعفران وله على جميع انوار الربيع فضل وله ورد بطلع كصل السهم النواكي
وقرن الخشف في لون الياقوت الازرق . واللأزورد المونق . كالعيون
الشهل واعراف الطواويس المججلة ويتفتح عن سمر كخيوط الذهب
والخطوط الحمر . في اغلاف الحلل الخضر . وكشر نار يلوح من حدائق
البنفسج كالسن الحيات المنضضة ويطلع ورد الزعفران البري في السنة
مرتين ربيعاً وخريفاً غير ان البري لا يكون له نور الزعفران المستعمل
وحشيش الزعفران يشبه اذنان الخيل وبصر على البرد فيبقى اخضر ناصراً
والدروع مصفرة وله اصول كعقد من العاج وقلك مغازل الابرسم ويبقى
تحت الارض طويلاً فلا يتغير متدثراً بخمل كصوف الخزوليف جوز
الهند . وفي الخريف يجد النخل . ويجمع اعسال النحل . وتقطف الاعناب
التي فيها المنافع وفيه اجتناء الاقطان التي منها لباس الناس وزينتهم
احياء . وسنهم بعد الفناء . وفيه يقطف اللوز والجوز والعناب والنبق
وغير ذلك مما يعم نفعه وفيه تتلاق ذوات الاظلاف الانسية والوحشية
وفيه مطارح البزاة وفيه ينضج الاترج واوراقه تشبه شقق الفرند اذا
خطرت فيه الرياح خفقت خفق المطارف الخضر وله ورد كالفاغية وهي ثمرة
الحناء ويتفتح عن مثل خرزات الزبرجد ثم يعظم وتشوب خضرتها صفرة
الرحيق الاصفر فاذا خلصت الصفرة صار ذلك كقالب ظاهرها ذهب
وباطنها فضة فيها حب كاللؤلؤ والمرجان وقشره ينفع المعمود وله اذا حرك

عرف يفوق ارج رياحين الربيع ويستخرج منه دهن اذكى من النار وله
 حماض لذيذ يطيب القدور وينفع المحزون واذا تصرمت الرياحين في الشتاء
 فالأترج غرض طري وقد اجتمع فيه وفي العنب الطبايع الاربع فوصف
 الخريف وذكر فضائله واقتصر خصائصه كما ترى في النثر واما النظم فمن
 ذلك ما قاله ابو الحسن ابن الرومي من قصيدة

لولا فواكه ايلول اذا اجتمعت * من كل نوع ورق الجو والماء
 اذا لما جفلت نفسي متى اشتملت * علي هائلة الحالين غرباء
 يا حبيذا ليل ايلول اذا بردت * فيه مضاجعنا والريح معجواء
 وجش القر فيه الجلد واشتملت * من الضجيجين احشاء واحساء
 واسفر القمر الساري بصفحة * وريالها من صفاء الجو لآلاء
 يا حبيذا نفحة من ريحه محرا * يا تيك فيها من الريحان امضاء
 بل فيه ما شئت من شهر تعده * في كل يوم يد الله بيضاء

ومن ذلك ما قاله عبد الله بن المعتز

اشرب على طيب الزمان فقد حدا * بالصيف من ايلول اسرع حاد
 واشمنا بالليل برد نسيمه * فارتاحت الارواح في الاجساد
 وافاك بالانداء اقدام الحيا * والارض للامطار في استعداد
 كم في ضمائر تربها من روضة * بمسيل ماء او قرارة واد
 تبدو اذا جاد السحاب بقطرة * وكأنا كنا على ميعاد
 وقال ابو عمر عبدان الفرخي بصف الخريف وبفضله على الربيع
 وارى الربيع عيون قوم اغفلت * طيب الخريف وسجج الاسحار
 ان كان ذاك لواضحات درام * بين الرياض ثرون من اشجار
 فلها نثار في الخريف يفوقها * حسنا على الجنات والانهار
 فحكي دنائرا لنا اوراقها * ولها فضيلة مطعم الاثمار

وخلا الربيع فما لنا فيه سوى الارواح والانواء والامطار
 وخفاة الارعاد اثر صواعق * ترمي البلاد واهلها بالنار
 فاسعد بتشرينين وانعم منهما * متعوذا بالله من آذار
 واشرب على ورديهما مشمولة * من زعفران طالع وبهار
 يغنيك عن ورد الربيع وعرفه * عن شم طيب لطيفة العطار
 يا حذ ايلول جاء مبشرا * يا خصب بعد المحل في الامصار
 والشمس فيه وفيهما ميزانه * حلت لوزن عادل المعيار
 اخذ النهار وليتنا حظيهما * فالليل عن وزن كفاء نهار
 وكفك في ذم الربيع رواية * ينيك عنها حامل الاحبار
 فاذا ذكر كلام نبينا في قوله * صلت عليه ملائكة الجبار
 اذ قال هل يخرج آذار لنا * خرف القيامة فيه من بشار

وقال ايضا بصفه

آذار جوك للغيوم مسخر * اذ لست انت لنا الخريف الازهر
 وضر الشتاء بنا اضر وورده * فابعد رشيدا انت منه اوضر
 ركبت غيومك في السماء كأنما * غطى عليها منك لبد اغبر
 هناك اول برده متزايدا * من ظل كانونين مرا اكدر
 والشمس عن نظر الوري محجوبة * فكانها عذراء او هي استر
 تغدو وتمسى في اسار اصيب * ولها متى طلعت شعاع اعبر
 ما بين نيسان وبينك طمنا * ضاع الربيع وضل ذاك المنظر
 فمتى نرى ملء السماء وتوبها * الا لبود لازورد اخضر
 ومتى يقل بكاءها وربوعنا * من دمعها خربت وهذا اهدر
 ومتى ترى شمس السماء شماته * بالغيم يسمها شعاع انور
 او ليس ليلك والنهار تساويا * والشر فيك من المنايا اكثر

والفصل يؤذن بالحياة وطيبها * ما بالناس فيه نموت ونقبر
 عاما ارتك عجائبا ايامه * عين التفكير فيه ليلا يسهر
 فيه وفي الماضي كسوف سنة * كل على الانسان منه يحذر
 موت الفجأة والخوابيق التي * كلاً اصاب بالمنية تنذر
 احكام كل من شهور ستة * عن قول بطليموس ذلك يؤثر
 منها ثلاث قد مضت وثلاثة * فيها لمن ينجو ويعبر معبر
 ان المتجم والطيب تعجبا * اذ لم يكن في العرف مما يذكر
 والفيلسوف بذاك ايضاً جاهل * فهم جميعاً في المنايا حير
 ان كان ذلك في الوري في دورها * سنتين ان صدقت بما قد خبروا
 لكن اقول اذا اراد الهنا * امرا اليه يصير عبدا يؤمر
 لا تكذب فانتا بقصائه * طوع الردي حتماً نموت ونشر
 والفوز في الدنيا والاخرى للذي * منا على البلوى المحض اصبر

❦ وقال ايضاً في فضل الخريف على الربيع ❦

فضل الخريف على الربيع وحسنه * ان عم كل مدينة آثاره
 وله مناظر حسن ذاك وزادنا * طيب الفواكه كلها اثماره
 يصفو الهواء لنا ويبرد ماؤنا * وبطيب مرقدنا وتحمده ناره
 نلتذ فيه صبوحتنا وغبوقنا * عبق النهار ويحسج اشجاره
 وارى المخالف ذا قياس فاسد * قد ضل لما راقه انواره
 اذ قال ضاهى النور فيه دراها * ما للخريف على الرياض نثاره
 غفل الركب عن المجالس كلها * فيه اذا ما دنت اشجاره
 وتناثرت اوراقها مصفرة * كالتبر اخلص فاستنار نضاره
 والمهرجانات فحصب بنعيمه * فاذا تنورز متحل آذاره
 وتخاف وقع صواعق وبوارق * فيه وهدم رباعنا امطاره

وكذا المياه وهد وادبها بها * مهما جرى وتدفقت انهاره
 والمهرجان فورده عن ورده * مغن بفضل حسنه نظاره
 اذ كان فيه منافع ولطيبه * لم يخل منه طيبه عطاره
 والشمس في الميزان فيه يسوي * للوزن عدلا ليله ونهاره
 يسقيك من حلب الكروم جديده * سلسا بلا مزج بطير شراره
 لا غول فيه ولا اذى لثماره * لا كالعتيق مصدر مصطاره
 فاشربه مختننا لروح زمانه * ودع الشقي موفرا اوزاره
 وارتد له طيب الغناء ومزهره * تشجى فؤاد منيم اوتاره
 والزم لا تفرح به اسماعنا * ان الغناء يعيبه زماره
 هذا الزمان وما سواء دونه * لفتى تساعد به اوطاره
 ان كان ينكر جاهل هذا بلا * عقل فليس يضيرنا انكاره
 فاذا اتى النيروز فاقض حقوقه * ما دام يسعد ورده ازهاره
 واذا رجوا فيه القيامة فارح ان * يأتي بوشك خروجه بشاره
 وارقب طلوع النجم حتى ينقضى * نيسان تأمن ان دنا اياره

وقال الباذاني في نعت الحريف

واسعدك الله بالمهرجان * اذا ما انقضى عنك عام يكر
 ولا زلت في عيشه كالحريف * فان الحريف جميعا محر
 ترى الماء فيه وذاك الهواء * يجاوها نسم ريح عطر
 ترى الزعفران باعطافه * يفوح التراب له المقشعر
 واترجد عاشق مدنف * اذا ما رجا طيب وصل هجر
 ولون سفرجله حائل * واحسبه من صدود حذر
 وتفاحه فوق اغصانه * خسود خجلن لوحى النظر
 وما كنت احسب ان الحدود * تكون ثمارا لتلك الشجر

❦ وقال آخر ❦

فهناك اقبال الخريف عليك بالزهر الجنى
تم اعتدالا في الكمال فجاء في خلق سوي
فاق الربيع بحسنه * ونسيم رياه الذكي
وينوب ورد الزعفران به عن النور البهي
اهدى اليك المهرجان عيس في زى الهدى
قد ضمخمت بالزعفران وهيئت في حسن زى
وتحلت التفاح والاترج في نظم الحلى

❦ قال الربيع ❦

ما كنت اظن انك ترضى بحكومة الشعراء وثقتع بالاعتصار الركبة في
هذا الباب وتكيل علينا بهذا الصاع . بل تهيل بالباع والذراع . فهاك
منها السيل الذي يحكي سيل الربيع . فاما رسالة ابي الحسن على بن حمزة
ابن عمارة الاصبهاني فهي مقابلة برسالة له اخرى في وصف النيروز
كتب بها الى ابي مسلم محمد بن بجر فقال

هذا يوم عجمي مشرق الارضاء . بهي الرواء . ممتع الذكاء . منير
السماء . صافي الهواء . اعتدل مزاجه واستوى ليله ونهاره توتاح له
القلوب وتهتزله النفوس وتستريح اليه الارواح يروق العيون ويؤنس
القلوب . ويمجوا الكروب . يوم مصطلح في تفضيله على الايام يهيج السرور
ويصبي الكبير ويطرب الحليم ويذكر الشيب الشباب ويجمع المتفرق
ويؤلف المتنافر ويبدئي المتباعد له نسيم المسك المشوب بالغنبر المداف
يضاحك ارجوانه الفحوانه وجلناره بهاره وخيره باسمينه وورده نرجسه فتبرج
بعد التعس . وتنضر بعد التيبس . وابتهج بعد التعبس توشح بالزبرجد
وتأزر بالاستبرق وتحلى بالياقوت والمرجان . ونفى عن الفتیان خواطر

الاحزان . فهمهم عليه موقوفه . واشغالهم اليه مصروفة . وقلوبهم
 بالملاهي فيه مشغوفة . وعبودهم اليه روان . ونفوسهم عليه حوان .
 والظبا فيه تتنازى والطيور تتبازى . وناطقها فيه يطرب فيرتجل الاغاني
 ويقرب الاماني ويغنى الشرب فيه عن كل صوت شج مطرب اذا تحاذت
 تطارحت الالمان بفصاحة سخيان . وخالد بن صفوان . فرجحت الاغصان
 بالنبات والتغيات فهن بمخضرة الرياض ساجعه . وعبود الحوادث عليها
 هامعه . ففتى حطرت الرواعد ولعت البوارق مرت الصبا اخلاف العهاد
 فاهتزت له الربا والوهاد . وتلفتت يورود اليمن وتبسعت الارض عن ثغور
 الافحوان . بكتها دموع الغيت في خير اوان . واجل زمان . وتمايلت
 البقاع بالازاهير الناضرة تمايل الشوان . يميس في الارجوان . واختالت
 القيعان والجنان . بدائع الالوان . زاهرة بانواع نوار الفياض . واصناف
 اصباغ الرياض . من شقائق حمر ترف بقطرات الدموع كالمشتاق .
 وفواقع صفر كالوان العشاق . وازاهير رائقه . مشفقه موققه . مونسه هي
 الدهر ضاحكة لبكاء السماء محيطة بواد الزرنود وهي كالقمر الصائل اذا
 جرجر ورمى بلعابه والضيغم الهائج اذا زحمر وزأر في غيله فاذا اصطكت
 امواجه . واطبق ضجاجه . وهمهم وزخر وجاءت اواذبه معجرات بمطارف
 دكن اقبلت ضروب نباته عاثمات متوشحات بتهاويل رقها المنعم زهره
 مختالات عالقات عجانفة الامواج آمانات شبا الجوارح فنسأل الله تمام النعمة
 واليه ارغب في ان يجعلك بالنعمة تاما . وللمكارم نظاما . وللدنيا قواما .
 بمنه

❖ ووصف على بن عبيدة الريحاني الربيع فقال ❖

الربيع رشيق القد طلق الوجه كريم الاخلاق لين الاعطاف حلو
 الشائل . جم الفضائل . عطر الرائحة سليم الناحية فاخر البزة بهي المنظر

سرى المخبر . * ووصفه ابن ابي طاهر فقال * الربيع تمام الجمال .
 حسن الدلال . عظيم الخطر . لطيف النظر جميل الذكر . ذكى العطر
 لذيذ النسيم . طيب الشميم . غزير النعيم . قليل المموم . ظليل المموم
 واما النظم فالقصيدة الاولى الالفية مقابلة بمثلها من قول بعض الشعراء

طلع الربيع بفرقة زهراء * تجلى العيون بها من الاقضاء
 وبدت وجوه الارض بعد قطوبها * مفترقة بدائع الآلاء
 فالارض في حل وحلى موقى * في ما حبه به يد الانواء
 والروض بضحك عن بكى وسميه * بتلاؤ من صنعة الانداء
 وترى الرياض كأنهن عرائس * يرفلن من صفراء في حمراء
 او ماراً بت الارض غبراء الربى * حتى اغتدت في بردة خضراء
 ان الربيع لهجة الارض التي * منها تكونت جوهر الاشياء
 وله هواء كالموى من رقة * دقت عن الاوهام والاهواء
 واذا تنفس بالنسيم نسيجه * كتنفس الصبوات في الاحشاء
 زمن جديد للسرور تجدد * فيه استحل حرمه الصهباء

واما القصيدة الدالية فهي مقابلة بما قال الحمدوى

حى الربيع فقد اتاك حميدا . بدلت من خلق الزمان جديدا
 خلع السحاب على الترى وشياترى . هذه الثرى ذا ثروة محسودا
 روض افادته السحاب صنائعا . اضحى بها كل البلاد سعيدا
 نشأت صحابه عليه فانشأت . نورا تراه ناشئا ووليدا
 فكانها عدن لدى اكفانه . قد نشرت فيه التجار برودا
 عن الحقوان ضاحك متبسم . يفتر عن برد يحال عقودا
 فشغوره من لؤلؤ ولثاته . ذهب بريق صحابه قد جيذا
 ومعصرات من شقائق البست . مقلا ترى فيها محاجر سودا

فانهض بطرفك حيث تثبت نجد له . من عطفه ورداً يخال حدودا
 تحكي لك الوجنات قد اشعرتها . خجلا فترب لونها توريدا
 قد وشحت اكفافه يتفسج . خنت يغازل غايات غيدا
 وترى العذارى من بهار باهر . للشمس تحسب نظمن فريدا
 زهر يظل الطرف في اكفافه . حسر لرونقه النضير بليدا
 فاذا الرياح مشين فيه ظلال من . كسل النعيم رواكها وسجودا
 يصعدن صد منم متهم . انحى له عذاله تفتيدا

واما القصيدة الرائية الاولى فقابلة بما قال ابو تمام وبينهما بون بعيد

رفت حواشي الدهر وهي تمرر . وغدا الثرى في حليه يتكرس
 نزلت مقدمة المصيف حميدة . ويد الشتاء جديدة لا تكفر
 مطر يروق الصحو منه وبعده . صحو يكاد من الغضارة بمطر
 غيتان فالانواء غيت ظاهر . لك وجهه وانحوى غيت مضمر
 يا صاحبي نقصيا نظريكما . نريا وجوه الارض كيف تصور
 نريا نهارا مبصرا قد شابه . زهر الربى فكأنما هو مقمر
 دنيا معاش للورى حتى اذا . جاء الربيع كأنما هي منظر
 اضحت تصوغ بطونها لظهورها . نورا تكاد له القلوب تنور
 من كل زاهرة ترفرف بالندى . فكأنها عين اليه تحدر
 حمرة مصفرة فكأنها . عصب تبين في الوغى وتمضر
 من فاقع غض النبات كانه . در يتقى قبل تم يزهر
 او ساطع في حمرة فكأنما . يدنو اليه من الهواء معصر
 صبح الذي لولا بدائع لطفه . ما عاد اصفر بعد اذ هو اخضر

والقصيدة الثانية الرائية مقابلة بما قال البحتري

ألم تر تغليس الربيع المبكر . وما حاك من وشي الرياض المنشر

مررنا على بطياس وهي كائنها . سبائب عصب او زراي عبق
 كأن سقوط القطر فيها اذا انثى . اليها سقوط اللؤلؤ المتحدر
 وفي ارجواني من النور احمر . يشاب بافرند من الروض اخضر
 اذا ما الندى وافاه صبحاً تمايلت . اعاليه من در نثير وجوهر
 اذا قابلته الشمس قلت التفاتة . لعلوة في جادها المتعصر
 والقصيدة الثالثة مقابلة بما قال ابن المعتز

اما ترى بهجات الروض في السحر . فوق الندى واتساق الورد في الشجر
 اذا السحاب سقاها في الدجى خلعت . بعد السحاب عليها الشمس في البكر
 والروض من زاهر زاه بنظره . وكامن منه في الاغصان منتظر
 حسي من الورد توريد الحدود كما . حسي مسرة محسود من البشر
 والقصيدة الرابعة الرائية مقابلة بما قال ابن الرومي

اصبحت الدنيا تروق من نظر . بمنظر فيه جلاء للبصر
 وهالها مصطنعا لقد شكر . اثنت على الله بآلاء المطر
 والارض في روض كامواف الحبر . تبرجت بعد حياء وخفر
 تبرج الاثني تصدت الذكر

هذا ما قيل من الاشعار . ولو استقصيت ما قيل في فضل الربيع
 لادى ذلك الى الاكثار . وبكفيك من فضائله انه ما ينبغ شاعر الا
 وله شعر في الربيع وما الآثار . التي جاءت بها الاخبار . فكثيرة ايضاً
 والنوروز الذي هو عنوان الربيع تعظمه الفرس على سائر الايام وثقول
 انه يوم فيروزي روحاني فيه تحركت الافلاك السبعة بعد ان كانت
 ساكنة وفيه دارت الكواكب السبعة في افلاكها بعد ان كانت واقفة وفي
 ساعة منه يزخر فلك فيروز بمعاني الارواح لانشاء الخلق وفيه خلق جرم
 الشمس ولذلك يقال 'سعد ساعات النوروز ساعة الشمس' وقال الحسن

ابن سهل سأل المأمون علي بن موسى الرضا عن النيروز فقال يوم عظمته
 الملائكة والانبياء والملوك فالملائكة عظمته لانهم فيه خلقوا والانبياء
 عظمته لانه اول يوم طلعت فيه الشمس والملوك عظمته لانه اول يوم من
 الزمان * وعن عبد الصمد بن علي بن عبد الله رفعه الى جده عبد الله
 ابن عباس قال اهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم في يوم نيروز جام
 فضة عليه حلاوة فقال ما هذا فقالوا يوم النيروز فقال وما النيروز فقالوا
 عيد الفرس فقال نعم اليوم الذي احيا الله فيه العسكرة قالوا وما العسكرة
 قال القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف فاحياهم الله في هذا اليوم
 ورد عليهم ارواحهم وامر السماء فامطرتهم مطراً كالشنف فلذلك اتخذ
 الناس صب الماء في النيروز سنة فاكل الحلاوة وقسمها بين اصحابه وقال
 نيرزوا لنا كل يوم * ويقال ان في النيروز اظهر جم الملك مقادير الاشياء
 وتنبهك الفرس صبيحته قبل الكلام بان تلعق ثلاث لعقات من عسل
 وتبخر بثلاث قطع من شمع وتزعم انه شفاء من الف داء زعم بعضهم ان
 من ذاق السكر صبيحته قبل الكلام وادهن بالزيت دفع عنه في عامه
 انواع البلايا

✽ قال الخريف ✽

رويت لنا يا بني اشعاراً في صفة الربيع وفضائله . وما تعرضت
 لنقص الخريف ورزائله . وعلى المناظر ان يقوى حججه ودلائله ويوهن
 براهين خصمه وشواهد له لبتضح الحق ويفتضح الباطل كما فعلنا ذلك وان
 لم نستوفه واتينا على جهل من ذلك ولم نستقصه * واما ما ذكرت من
 فضيلة النيروز فلمهرجان ايضاً فضائل لا تحصى ومناقب لا تستقصى تزعم
 الفرس وغيرهم من الامم انه يوم خلق الله فيه الاجساد قراراً للارواح

وفيه دحا الارض دحوا ونشر الخلائق وهو يوم افرينوني وعيدا افرينوني
وفي ساعة منه يتنفس ملك افرينون لتربية الاجساد وفيه خلق الله القمر
يوم خلقه كرة سوداء فاذا كان يوم من المهرجان جلاها بضوئه ويقال ان
القمر في المهرجان يوفي على الشمس واسعد ساعاته ساعة القمر ويقال ان
قلة جبل شاهين ترى طوال ايام الصيف سوداء حتى صبيحة المهرجان
ترى بيضاء كأن الشالج عليها وزعم المؤيد اشوكلي ان يوم المهرجان يطلع
الشمس بهامير الواسط بين النور والظلمة وتحرك الارواح في الاجساد
ولذلك سمته الفرس ميركان وثمين الفرس صبيحة المهرجان باكل الرمان
وشم ماء الورد وهو يوم افرينوني مر افرينون في طلب يوراسف فظفر
به يوم المهرجان الاكبر

فهذا ما حضر من فضائل الحريف واولاها واولاها بان يذكر ان
الحريف في هذا الوقت الذي نحن فيه حاضر لخدمة قوام الملك ونظام
الدين اطال الله بقاءه . وادام في درج المعالي ارتقاءه . والربيع غائب
عن حضرته . انسها الله يدوام نعمته . مشتاق اليها والحاضر خير من
الغائب والموجود خير من المعلوم

فهذا آخر ما جرى بين الشيخ والفقير واقتربا بعد ذلك والسلام والحمد لله
اولاً وآخراً . وباطناً وظاهراً . والصلاة على النبي محمد وآله
اجمعين وكتب يوم الخميس في ثاني عشر ربيع الآخر

سنة احدى واربعين واربع مائة

(كذا باصله)



To: www.al-mostafa.com